مجلة كلية الآداب

دورية أكاديمية علمية محكمة تهتم بنشر الدراسات
الإنسانية والاجتماعية

العدد 52

إنسانيات

الدور السياسي للأصولية اليهودية

في إقامة دولة إسرائيل

The Political Role of Jewish Fundamentalism in the Establishment of the Israeli State

أ . باهرعبدالعظيم السيد حنفى حماد

قسم الفلسفة – كلية الآداب – جامعة حلوان

المستخلص

أدت الأصولية اليهودية Jewish fundamentalism دورًا محوريًا في تأسيس دولة إسرائيل على الأرض التي تسميها نصوصهم المقدسة أرض الرب التي لا يجوز لأحد أن يقيم فيها إلا شعب الله المختار. وعلى الرغم من أن جهود إقامة دولة إسرائيل لم يكن حصرًا عليها، إنما لعبته بالتنسيق مع الحركة الصهيونية Zionism التي هي في الأساس على نقيض منها؛ إذ إن الحركة قومية علمانية، إلا أن الأمر يعكس مدى برجماتية التيار الأصولي اليهودي.

أدى الحاخام إبراهام بتسحاق كوك (1865 – 1935) Abraham Isaac Kook، الدور الرئيس في إحداث المقاربة بين الأصولية اليهودية والصهيونية؛ إذ اعتبر أن جميع المساعي التي تعمل الحركة العلمانية على تنفيذها، هي في مضمونها وجوهرها إشارات مسيحانية Messianism. والمسيحانية هي الإيمان بالمسيا Mashiah، الشخص المنتظر أو المنقذ أو المخلص، الذي سوف يأتي في آخر العالم ليخلص شعبه إسرائيل، والمسيا كلمة عبرية.

تبلورت الأصولية اليهودية وأصبح لها روادها وأدبياتها وأهدافها، مع ظهور حركة "الميدراش" Midrash؛ فنصوص العهد القديم كانت غامضة قبل أن تنشط حركة "الميدراش" العام (٥٠٥م). والميدراش هو التحليل التفسيري لنص الكتاب المقدس الذي يحاول ملء الفجوات والثقوب لفهم أكثر مرونة للنص. لكن في الوقت ذاته خلقت الحركة نفوذًا واسعًا للحاخامات؛ إذ جُعل في أيديهم احتكار سلطة تفسير وفهم النص.

ترتب على التحالف بين الأصولية والصهيونية، تأثيرات جذرية في أيديولوجية الأصوليين؛ إذ لم يعد التيار المتشدّد بتنفيذ ما ورد في التوراة، متمسكًا بالطريقة التي

يتحقق بها خلاص اليهود، سواء بالإنابة الروحية إلى الله، ولزوم فرائضه، أو عبر النشاط السياسي والعسكري. ويعد هذا أحد تأثيرات الصهيونية العلمانية على الفكر الأصولي اليهودي.

الكلمات المفتاحية: الأصولية؛ الصهيونية؛ الميدراش؛ اليهودية

Abstract:

Jewish fundamentalists played an essential role in the formation of the Israeli state onthe land designated by God for his chosen people according to their holy texts. Butfundamentalist Jews were not the sole players, crucial as their role was, as they havealways coordinated efforts with members of the Zionist movement who, unlike them, aresecular and nationalistic. This shows how pragmatic Jewish fundamentalists are.

Abraham Isaac Kook (1935- 1986) was the rabbi who engineered this synergy betweenthe two parties. He saw that all the end goals of the secular movement are parallels tothe belief in the coming messiah; the savior who will arrive come the end of the world todeliver the people of Israel.

Even though it was present since the beginning of Judaism, Jewish fundamentalismonly began to take form as a movement with literature and goals after the appearanceof Midrash in 505 A.D. Before Midrash, which interprets and explains the holy book in away that bridges the gaps and fills the holes so that the text can be comprehensivelyunderstood with open-endedness, the texts of the Old Testament were obscure andinaccessible. The Midrash method also gave rabbis wide-spread influence as theexclusive interpreters and explainers of texts.

The alliance between fundamentalists and Zionists greatly affected the ideology of theformer. Jewish fundamentalists no longer believe that the deliverance of the Jewishpeople is only in the hands of god nor is it only attainable through religious practice, butthat it can be also achieved through political and military pursuits.

Keywords: Jewish Fundamentalism- Zionism- Midrash- Abraham Isaac Kook

مقدمة

إن اليهودية هي ديانة أصولية في المقام الأول؛ فهي تنزل التوراة منزلة الموروث الديني الذي له سلطة إلزامية على الجميع، ووفق نصوص توراتية أقام اليهود دولتهم (إسرائيل)؛ فأرض الميعاد "إرتس يسرائيل" بالعبرية هي "أَرضِ الربِ" (هوشع 3:9)، وهي الأرض التي يرعاها الإله (تثنية ١٢:١١)، ثم هي الأرض المختارة، وصهيون التي يسكنها الرب، والأرض المقدَّسة (زكريا ١٢:٢) التي تفوق في قدسيتها أيَّ أرض أخرى؛ لارتباطها بالشعب المختار.

يعتقد اليهود أن الإله وعد إبراهيم وعاهده على أن تكون هذه الأرض لنسله، فهي الأرض التي سيعود إليها اليهود تحت قيادة الماشيَّح (المسيح المخلص). وذكر هذا الوعد في مواضع متفرقة من التوراة، ففي (سفر التكوين 12: 5–1) يقَولَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: "اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. 2 فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. 3 وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ".

وفي السفر ذاته (سفر التكوين ١٢: ١٤–١٥): "ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ شِمَالاً وَجَنُوبًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا، ١٥ لأَنَّ جَمِيعَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ إِلَى الأَبَدِ".

«أَنَا الرَّبُّ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيُعْطِيَكَ هذِهِ الأَرْضَ لِتَرِثَهَا". (سفر التكوين ١٥: ٧)

إذن ساهمت اليهودية في تأسيس دولة، ولسنا هنا في محل نقاش حول مدى صحة هذه النصوص من عدمها، لكن الشاهد أن تفعيل هذه النصوص أنشأ دولة، وهو انعكاس لمدى تأثير الأصولية اليهودية Jewish fundamentalism على المجال السياسي.

فيما يعكس أمر آخر مدى براجماتية الأصولية اليهودية؛ إذ تحالفت مع الحركة الصهيونية العلمانية، التي هي على نقيض تام منها، وكانت جهود الحاخام إبراهام بتسحاق كوك (Abraham Isaac Kook (1935 – 1865، الأبرز في إحداث مقاربات بين الأصولية اليهودية والصهيونية بصفتها حركة علمانية.

وبشكل عام فإن الديانة اليهودية مُتشددة تُلزم مُعتنقيها بالتنفيذ الحرفي لمبادئها؛ كي تتحقق لهم الخيرية بوصفهم شعب الله المختار. لقد كان أمر الله لشعبه المختار تنفيذ شريعته كما يفسرها الملك الممسوح بالزيت والكهنوت؛ لصون وضعه المقدس، وحفظ حقه في الأرض والمساهمة في خلاصه وخلاص البشر أجمعين. إذن تستهدف الأصولية اليهودية التمسك والتطبيق الصارم (للهالاخا) الشريعة والتوراة من أجل خلاص بني إسرائيل، وهذا الخلاص أصبح شكله بعد التحالف مع الصهيونية، يتمثل في بسط الحكم اليهودي على أرض إسرائيل الكاملة أو أرض كنعان، ونتيجة لذلك سيأتي الماشيح أو المسيا Messias (بالعبرية)؛ ليبدأ في أداء مهمته التي تتمحور حول تحقيق الخلاص إلى شعب الله المختار.

هدف الدراسة:

تستهدف هذه الدراسة توضيح مدى الدور السياسي الذي قام به التيار الأصولي اليهودي في تأسيس دولة إسرائيل. فضلًا عن العلاقة الشائكة بين التيار الأصولي من جهة، والحركة الصهيونية، التي هي على نقيض من التيار الأصولي، من جهة أخرى.

تطرقت الدراسة أيضًا إلى بيان دور حركة الميدراش، التي ظهرت العام (505م)، في إعطاء تفسيرات للنصوص التوراتية. ورغم أن حركة تأويل وتفسير تلك النصوص، كان لها دور في تبسيط الآيات المقدسة، إلا أنها خلقت نفوذًا لرجال الدين، جعلتهم يختلفون في تفسير طرق خلاص اليهود، لتتراوح تلك التفسيرات ما بين التأكيد على جواز التعجيل بها، وتحريم استعجالها أو حتى السؤال على موعدها، ما يفسر لنا عدم اعتراف بعض الحاخامات بدولة إسرائيل.

إشكالية البحث:

يحاول البحث إظهار مدى التزاوج بين الدين والسياسة في دولة إسرائيل، ومدى نفوذ التيار الأصولي في صناعة القرار الإسرائيلي. وأن عمليات الاستيطان المُدانة وفق القانون الدولي في فلسطين، تحولت إلى هدف ديني؛ يسعى من خلاله التيار الأصولي، لجعل أرض كنعان أو أرض الرب بحوزة اليهود؛ لتتم عملية خلاصهم.

تساؤلات البحث:

يقدم البحث جملة من التساؤلات بينها:

- كيف حدث التماهي بين التيار الأصولي اليهودي والصهيونية التي هي على نقيض منها؟
- على أي تفسيرات جعل التيار الأصولي للاستيطان أبعادًا دينية؟
- كيف يمكن فهم الأراء الدينية التي ترفض تعجيل خلاص اليهود والتأكيد على أن هذا الخلاص فعل إلهي؟
- ما هي أبرز عقائد الأصولية اليهودية؟

منهج البحث:

تم استخدام في إعداد هذا البحث بعض مناهج البحث المختلفة، وأهمها: المنهج التحليلي، والمنهج الوصفي، فضلًا عن المنهج النقدي، ولا شك أنها مناهج تستقيم تمامًا مع موضوع البحث.

أولًا: (الأصولية اليهودية)

أقام اليهود كأمة في أماكن متفرقة حول العالم، حتى قبل أن يتم سبيهم في بابل، وكذلك طردهم، وقتل بعضهم على يد الرومان، ولقد تعرض اليهود لكثير من أعمال الاضطهاد والاستعباد، لكن رغم ذلك حرصوا بوصفهم جاليات متفرقة، على حفظ إيمانهم، وروابطهم الثقافية، والدينية، والاقتصادية، وبما يسمونه أرض إسرائيل، و*اليشوف Yishuv، والهيكل Temple في أورشليم وصون شعائره.

كانت محافظة اليهود على تلك الأمور، من منطلق إيماني بحت؛ إذ تعدهم نصوصهم المقدسة أن شعب إسرائيل سوف يرث أرضه التي وُعد بها، وأنه سوف يستمد عيشه وبقاءه منها. الأمر الذي جعلهم طوال الوقت يعتقدون في المسيحانية، وانتظار المسيا، الذي سيخلصهم، وسيمكنهم من أرضهم. كما أن التطرق إلى الجانب السياسي، المتمثل في إصرار اليهود على العيش في أرض إسرائيل، له صداه في التوراة.

يقول الكاتب إيان لوستك: "يقوم النظام السياسي في إسرائيل على بعض الأفكار التوراتية، التي تصف اليهود بشعب الله المختار، والمقدس، والمكلف، والمقدر له أن يقوم بالدور الأساسي في مسرحية الخلاص ذات الإخراج الإلهي. لذلك كان تنظيم الجماعة اليهودية، وقيامها بالمناسك وفق الناموس الإلهي، بما في ذلك الحج إلى أورشليم بانتظام، وتقديم الأضاحي إلى الهيكل، من الأمور التي لابد منها؛ إذا كان لشعب إسرائيل أن يرث الأرض التي وعد بها".(١)

تتلخص أهداف الأصولية اليهودية، "في بسط الحكم اليهودي على أرض إسرائيل الكاملة، وربط نظرتها الجذرية الرؤيوية (نظرة تنبؤية لما تنطوي عليه أهوال يوم الحشر) بمصير اليهود، وتعجيل عملية الخلاص التاريخية العالمية التي يقوم الشعب اليهودي فيها بدور مركزي".(٢)

المُلاحظ أن الأصولية اليهودية على الرغم من أن لها مؤشرات منذ القرون الأولى مع بدأ ظهور اليهودية بوصفها ديانة سماوية، إلا أنها تبلورت كحركة لها روادها وأدبياتها وأهدافها، مع ظهور حركة الميدراش Midrash؛ فنصوص العهد القديم كانت غامضة قبل أن تنشط الحركة العام (505م)، وحركة الميدراش هي التحليل التفسيري لنص الكتاب المقدس الذي يحاول ملء الفجوات والثقوب لفهم أكثر مرونة للنص. "بدأ الدين اليهودي يتجه إلى درس التوراة وتأويلها بعد مرحلة استغرقته فيها خدمة المعبد وطقوس العبادة، أي منذ أن نهضت حركة الميدراش بجناحيها الفقهي والروحي". (٣)

فيما يرى جورج سانتيانا G. Santayana 18922 – 19022 – فيلسوف وكاتب مقالات وشاعر وروائي – "أن الوحي الذي كان متضمنا على نحو غامض في (العهد

القديم)، قد وجد التفسير اللازم على أيدي الكهنة وعلماء اللاهوت، الذين أصبحت مفاتيح مملكة السماء في قبضتهم، فعملوا على بسط نفوذهم على الأرض، وهكذا استحال التراث الشعري والسيادة البطريركية اللذان أسسا ديانة إسرائيل، إلى أداتين مائلتين ملموستين، هما الكتاب المقدس والكنيس اليهودي".(٤)

إلى جانب حركة الميدراش، ظهر تأثير الثقافات القديمة على العهد القديم، الأمر الذي زاد من التبسيط على تلك النصوص الدينية. "إن العناصر الثقافية المصرية والبابلية والفارسية وجدت طريقها إلى كثير من أشعار العهد القديم. فالفيلسوف اليهودي الشهير فيلونPhilo السكندري (٣٠ ق م. ٥٠ م) وهو ممن شاركوا في حملات تبشير اليهودية يستعير لغة الفلسفة الأفلاطونية ليعبر بها عن الإيمان اليهودي".(٥) واستخدم فيلون "لغة الفلسفة ليردم الهوة بين أفلاطون وموسى".(٦) "وفيلون إذا ما أعوزه إلى استخدام أداة أخرى تعينه على التأويل الرمزي للكتاب المقدس، لم يتردد في اقتباسها من الفيثاغورية والأورفية وغيرهما من ديانات الأسرار التي راجت في ذلك الوقت".(٧)

نشطت الأصولية اليهودية أيضًا بعد ظهور الصهيونية Zionism تلك الحركة القومية العلمانية المتمسكة بتجميع اليهود وإقامة وطن قومي لهم، وقد أسسها تيودور هرتزل Theodor Herzl (مايو 1860 – يوليو 1904)، وقد وقع اختياره على فلسطين. وكانت دوافع هرتزل في إقامة دولة لليهود ليست دينية مُطلقة ولا يمكن أن نُسميها كذلك؛ لأن الرجل أصلاً غير مُتدين، لكنهُ يهودي قومي استهداف إنهاء أزمات اليهود ومأساتهم من جانب قومي عرقي فقط. لقد كان يُفضل الأرجنتين كوطن لليهود أكثر من فلسطين. لكن في أواخر أيامه حدد موقفه واستقر على أن تكون فلسطين هي ذلك الوطن؛ ربما لأسباب برجماتية إذ يرتبط اليهود بتلك الأرض بصلات دينية، وربما يحفزهم ذلك للهجرة.

لكن تبدو هنا إشكالية، تتمثل في معارضة اليهودية الأرثوذكسية باعتبارها ديانة ترى أن خلاص أتباعها هو بإقامة دولة الرب في أرض إسرائيل، وأن إقامة هذه الدولة لن يتحقق إلا بمعجزة إلهية، وهي ظهور المسيا الذي من المقرر أن يقود بني إسرائيل إلى أرض إسرائيل، أما الصهيونية فهي حركة علمانية ترى أن إقامة أمة لليهود تكون بالسيادة

على الأرض وإقامة دولة (أي بالاستيطان)؟. "الصهيونية في مرحلتها المُجرّدة تيار في اليهودية، وعندما تنتصر ستصبح اليهودية تيارًا في الصهيونية». (٨)

يريد الكاتب عزمي بشارة هنا الإشارة إلى مدى التغييرات التي طرأت على الصهيونية، فجعلتها قادرة أن تكون علمانية متى أرادت ذلك، ودينية متى أرادت أيضًا ذلك. فالحركة بعد حرب يونيو ١٩٦٧ نشطت في إسرائيل، وبحثت عن المسوغ الديني لخطواتها لتزداد حضورًا في الشارع. كل ذلك مهد الطريق لبلورة الأصولية اليهودية.

"الحاخام أبراهام كوك اكتشف مع وصوله إلى فلسطين البُعدَ الروحيّ في لغة تطبيق الفكرة الصهيونية على أرض إسرائيل، والبُعدَ الخلاصيّ في الاستيطان ... ليتحول الاستيطان بنظره إلى عملية خلاص، والصهيونيون يقومون بعملية خلاص دون أن يدروا. إنهم متديّنون بالقوة – وما على الصهيونية إلا أن تعي ذاتها لتكتشف أنها الدين ذاته ولتصبح صهيونية دينية. وما على الأرثوذكسية اليهودية إلا أن تكتشف فريضة الاستيطان الدينية وتعيش في الواقع الإسرائيلي لكي تكتشف أن الصهيونية عملية خلاص".(٩)

إذن، استهدفت الصهيونية تحقيق القومية اليهودية، وقد تم الاتفاق على أن هذه القومية ستتحق بقيام دولة يهودية على أرض إسرائيل أرض الآباء أو أرض كنعان أو الأرض المقدسة، وبإقامة هذه الدولة يبدأ اليهود في إدراك البعد المسياني في أهداف الصهيونية، وهو دورها في إقامة دولتهم على الأرض، ليتضح للأصوليين اليهود أن الأرض المقامة عليها دولتهم هي أرض إسرائيل، وأن أملهم في الخلاص بات قريبًا، ما يجعل الصهيونية متدينة في أعماقها، وهذا الأمر هو الشيء الذي عكف الحاخام بتسحاق على تعميمه في إسرائيل؛ لكسر التوتر السائد ضد الصهيونية بين المتدينين بوصفها حركة علمانية.

«إن الصهيونية نشطت كحركة سياسية، تدعو اليهود للهجرة إلى فلسطين؛ بدعوى أنها أرض الآباء والأجداد، وذلك بعد أن تمكنت إسرائيل من بسط سيطرتها على أراضٍ عربية في يونيو 1967 بعد هجوم ناجح على مصر وسوريا والأردن واجتياح الضفة الغربية لفسلطين. لتنتهي المرحلة الأولى لتبلور الأصولية اليهودية، في أعقاب حرب أكتوبر 1973، أو حرب يوم الغفران كما يطلق عليها في إسرائيل، أي بعد الحرب الأولى

بست سنوات، بقيام جماعة غوش إيمونيم Gush Emunim الأصولية". (10) لتمثل هذه الجماعة أول تجسيد للأصولية اليهودية.

والعلاقة بين الصهيونية والأصولية يمكن فهمها أكثر، بتهيئة الصهيونية كحركة قومية الأوضاع لعودة "المسيحانية" Messianism والمسيحانية هي الإيمان بالمسيا، الشخص المنتظر أو المنقذ أو المخلص، الذي سوف يأتي في آخر العالم ليخلص شعبه إسرائيل. والمسياMashiah كلمة عبرية، وهو الشخص الممسوح بالزيت، ومنه جاءت كلمة المسيح، ولقد ورد المصطلح في العهد القديم، شاول (١ سم ١٢: ٣-٥ ، ٢٤: ٧-١١) ، داود (٢ سم ١٩: ٢١-٢٢)، سليمان (٢ اخ ٦:٤٢)، والمسيا: "تُستخدم دائمًا للإشارة إلى مَلك إسرائيل المُتوقع أن يُعيد مملكة إسرائيل وينقذ شعبه من كل شر. وهو من نسل داود، يحكم بالحكمة والعدل، وسوف يهزم القوى العظمى في العالم، ويحرر شعبه من الحكم الأجنبي، ويُؤسس مملكة عالمية يعيش فيها الناس في سلام وسعادة".(١١)

يفهم من ذلك أن شغل اليهود الشاغل هو إقامة دولة لهم على أرض إسرائيل، وإحكام السيطرة عليها؛ لتجميع اليهود فيها من جميع أنحاء الأرض. إنهم يمهدون بذلك لقدوم المسيا، حتى يبدأ في أداء مهمته التي تتمحور حول تقديم الخلاص إلى شعب الله المختار، لذلك ربطت الصهيونية فكرتها عن الأمّة بفكرة السيادة في دولة. الأمر الذي أدركته غوش إيمونيم Gush Emunim، وبدأت في تنفيذه بوصفها جماعة تشجع على التوسع في الاستيطان كعمل له أهداف وأبعاد دينية.

«المسيانية اليهودية JEWISH MESSIANISM، نظام من المعتقدات والأفكار، تتمحور حول الشخص الذي لديه مهمة محددة من الله، ثم اكتسبت دلالة المُنقذ أو الفادي الذي سيظهر في نهاية الأيام، ليدخل شعب إسرائيل في ملكوت الله، أو أي نظام اعتبر أنه سيكون الحالة المثالية للعالم. ولقد تحول المشيا من سياقها اليهودي الأصلي، إلى الاستخدام العام للدلالة على الحركات التي تؤمن بالفكر اليوتوبي القائم على تقديم الخلاص، لتظهر متلازمة الجنة المفقودة – استعادة الجنة. وتزدهر المسيحانية الخلاصية

في فترات المعاناة والإحباط. عندما يكون الحاضر غير مرضٍ ويِلزم استبداله أو تغييره. وهذا الإيمان قائم في أوساط اليهود منذ عصور قديمة جداً، ويقوى في فترات الشدة والاضطرابات التي يتعرض لها اليهود في عدة بلدان من العالم.

لقد اعتقد اليهود في مبدأ المسيانية مع عودتهم إلى جبل صهيون أو أورشليم تحت حكم كورش، بعد تدمير الهيكل الأول خلال العام (٥٨٧ قبل الميلاد)، وتعرضهم للسبي البابلي، ولقد أشاد "إشعياء الثاني" بالحدث المسياني. لكن هذا الخلاص المسياني أصيب بخيبة أمل حزينة، بعدما تعرض اليهود إلى اضطهاد شديد في عهد السلوقيين السوريين، ولكن الحاكم أنطيوخس الرابع (حكم من ١٧٥ إلى ١٦٣ قبل الميلاد) أعاد الآمال المسيحانية – الأخروية، لكن عادت خيبة الأمل مرة أخرى مع دمار القدس والهيكل الثاني، على يد الرومان، وكذلك عندما قامت ثورة باركوخبا* العام ١٣٢ – ١٣٥ قبل الميلاد، وانتهت بالتدمير العملي لليهود".(١٢)

إذن اليأس والأمل والأحباط، جميعها مشاعر تطوق الأشخاص الذين يعتقدون في المسيحانية؛ فهؤلاء الأشخاص يمرون بأوقات صعبة تصيبهم باليأس، ومع الانفراجة يعود الأمل، ويبدأون في انتظار تحقيق المعجزة وهي ظهور المسيا أو الشخص المُخلص، وخلال حقب تاريخية ادعى أناس أنهم المسيا الذين جاءوا ليحرروا اليهود، لكن اتضح زيف حديثهم وهو الأمر المُحبط.

ومن بين هؤلاء المسيا الزائفون أو المسيح الزائف Pseudo Messiah، "شبتاي زيفي 11221 – Sh.Tsevi 1971، الذي أثار ضجة كبرى حين أمنت به الآلاف المؤلفة من اليهود، والتفوا حوله على أنه مخلصهم الذي طال انتظاره، لكن انتهى به الأمر إلى إشهار إسلامه بين يدي السلطان العثماني".(13) ومن أشهر المسيحيين المزيفين أيضًا، "يعقوب فرانك 1711 – J. Frank 17229 الذي ارتد إلى الكاثوليكية مع جميع أتباعه الفرانكيين عام 1709».(14) أي أن ظهور يعقوب كان بعد قرن تقريبا من ارتداد زيفى، وأتباعه الشباتيين Shabbateans.

من بين الإحباطات التي تعرضت لها الجماعة اليهودية أيضًا؛ الانقلابات الفكرية لبعض المفكرين اليهود. ومن بين الأسباب التي دفعت هؤلاء إلى التخلي عن اليهودية

إما تأثرهم بالثقافة المادية، والروح العلمية المعاصرة، أو بسبب تفضيلهم المسيحية. "موسى هيس1870 – 18122 M. Hess الذي أعلن قبل أن يتصهين ويؤمن بأفكار هرتزل أن الدين والشريعة اليهودية قد ماتا، وأن المسيحية هي دين العصر الذي يسعى إلى توحيد البشر كافة، في حين لا تسعى اليهودية إلا إلى توحيد شعب واحد بعينه". (15) أما هنري برجسون 1859 – 1941 H. Bergson – فيلسوف فرنسي، حصل على جائزة نوبل للآداب عام 1927، وهو من أهم فلاسفة العصر الحديث، الذين أكدوا إيمانا لا يتزعزع بالروح – "اعتناق الكاثوليكية ورفض إله اليهودية الذي لا يُسخر كل قوته إلا في سبيل عبادته، على العكس من إله الحب المسيحي، الذي يتوجه بحبه إلى الإنسانية بأسرها". (١٦)

«وسيمون فيل 1909 – 1943 Simone Weil – فيلسوفة ومتصوفة وناشطة سياسية فرنسية وُلِدَتْ في عائلة يهودية غير متدينة، تُعتبَر من أهم فلاسفة القرن العشرين – انقلبت إلى المسيحية بعد دراستها العهد القديم، واعتبارها إياه مجرد كتاب قبلي عن الحروب". (17) الأمر الذي يعكس أزمة محبطة على مستوى الفكر الجمعي لليهود، "إن خصوصية (شعب الله المختار) لم تثبت على مستوى الفكر أمام النقد الذاتي، إلا إذا أحتمت بالأساطير القومية والسياسية كما فعلت الصهيونية في هذا العصر".(١٨)

من مظاهر إحباط اليهود من كثرة تجاربهم مع المسيا الزائفين، مع بدء ظهور المسيحية لم يعترف اليهود بدعوة عيسى بن مريم. والبعض الآخر اعتقد في وجود مسيحين اثنين، الأول هو المسيح بن داود، والثاني هو المسيح بن يوسف، والثاني هو الذي سيسبق الأول، ويبشر بقدومه إلى العالم لتهيئة الناس للخلاص، والذين اعتقدوا في ذلك هم طائفة مسيحية تحدثت عنهم وثائق تدعى "وثائق كهف قمران"، المعروفة باسم "لفائف البحر الميت».

"المسيح المنتظر عند اليهود، ليس هو المسيح القادم من نسل هارون كبير الكهنة الممسوح، المسيح بن يوسف، إنما هو مسيح بيت داود الملكي. وتم الاعتقاد بوجود مسيحين اثنين في القرن الثاني الميلادي، كرد فعل على كارثة فشل ثورة باركوخبا التي

أدت إلى مقتل آلاف اليهود، فقالوا إن المسيح الأول يموت، ليتبعه آخر منتصر، وهو المسيح من بيت داود". (١٩)

وفي الإسلام يقول فقهاء بالعودة الثانية للمسيح عيسى بن مريم، كبداية لما يسمونه بالأحداث الكبرى التي تسبق يوم القيامة. كما اعتقدت المذاهب الإسلامية بظهور المهدي المنتظر، وإن اختلفوا على شخصه، كل على حسب مذهبه، (سنة أو شيعة). المذهب السني يعتقد أن المهدي المنتظر هو من نسل النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، ويحمل اسمه، بينما يعتبره الشيعة الإثني عشرية، هو الإمام محمد بن عساكر، صاحب الحجة إمام آخر الزمان.

«المسيا في المعتقد الإسلامي MESSIANISM IN THE MUSLIM TRADITION، هو الاعتقاد أنه في نهاية الزمان، عندما يتدهور العالم وتفسد أخلاقه، سيتم إرسال المهدي لإحياء الإسلام، وإعادة الإيمان بالله، وتحقيق العدل والازدهار للعالم. وإن ظهور المهدي سوف يؤدي إلى ظهور "المسيخ الدجال"، ثم ينزل النبي عيسى بن مريم، فيقتل الدجال. ويعتقد المسلمون أن المسيح عيسى بن مريم هو نبي الله وكلمته، كما يعتقدون أن المهدي ليس بنبي ولا يحمل رسالة جديدة إنما هو مبعوث إلهي ليؤدي دورًا محددًا وهو أن يملأ الأرض عدلًا بعد أن مُلئت ظلمًا وجورا". (20)يحدد التيار الأصولي في اليهودية معتقداته منذ اليوم الأول، وهي أن أوامر الله قاضية باستقلال اليهود في أرض إسرائيل، وبوجوب إقامة شعائر الهيكل، وتقديم الأضاحي. لذلك ظلت عقائد تخليص الله لشعبه المختار تشكل النواة الأسطورية لحياة اليهود السياسية، لكن بعودة نشاط الصهيونية، وتحالفها مع التيار الأصولي، ظلت عودة اليهود من المنفى إلى أرض إسرائيل، والسيادة عليها، والتوسع إلى ما جاوزها، وإعادة بناء الهيكل، أحد أبرز أهداف الحركة الأصولية.

التغيُر الذي يمكن رصده أن الأصولية بعد تحالفها مع الصهيونية، لم تعد متمسكة بالطريقة التي تحقق تلك الأهداف، سواء تحققت بالإنابة الروحية إلى الله، ولزوم فرائضه، أو عبر النشاط السياسي والعسكري. ويعد هذا أحد تأثيرات الصهيونية العلمانية

على الفكر الأصولي اليهودي، ومن جهة أخرى تعتبر تزاوجًا بين الدين والسياسة، وهذا ما جعلنا في الفصل الأول نقول إن الأصولية تحولت إلى مذهب سياسي له سطوته ونفوذه الاجتماعي. وبشكل عام ظلت مبادئ الأصولية هدفًا لجميع التنظيمات الحركية اليهودية التي تسعى للخلاص، وفقًا لما تعتقد أنه نصرة للإيمان الصادق الأصيل بإله إسرائيل وشرائعه.

«من أبرز الأمثلة للحركية التي تطورت في ظل البيئة السياسية، نذكر الهزيمة التي أنزلها المكابيون (الحشمونيون) بالارستقراطية اليهودية الآخذة بأسباب الحضارة الهلينية سنة ١٦٥ قبل الميلاد. فقد حمل بعض اليهود الجبليين الأجلاف السلاح سنة ١٦٦ قبل الميلاد، ضد حكام البلاد من قبل الإمبراطورية السورية – الإغريقية (السلوقية)، وأعلنوا ومعهم سوقة المدن أنهم إنما ينهضون لنصرة الإيمان الصادق الأصيل بإله إسرائيل وبشرائعه. وعلى الرغم من التفوق الظاهر الذي كان السوريون – الإغريق وحلفائهم من اليهود المتأثرين بالهلينية يتمتعون به، فقد انتصر المكابيون. وقد أسفرت الحرب، عن إعادة تكريس الهيكل، وعن 200 عام من السيادة اليهودية، وعن توسع إقليمي لا سابق له. الحشمونيون لم يكونوا من بني داود، لذلك امتنعوا من أن يعدوا مملكتهم مسيحانية؛ لأن المسيح المنتظر هو من نسل داود، لذلك فقد كانوا فيما قالوا يمهدون الطريق للمسيح، وسيسلمونه الملك عند ظهوره".(٢١)

الأمر يعكس من وجهة نظري مدى تمسك اليهود حرفيًا بما يرد في النصوص المقدسة، أو بتفسيرات الحاخامات اليهود، وربما يكون السبب في ذلك أنهم لم يكونوا قد تعرضوا لأي تأثيرات من قبل التيارات العلمانية وقتذاك، مثلما حدث مع الأصوليين الذين تأثروا بالصهيونية.

المُلاحظ أن الجماعات الحركية الأصولية كافة، اعتقدت بفكرة خلاص اليهود، عبر تجميعهم في أرض إسرائيل، وهذا الخلاص ليس منحة ربانية تأتي بالتبتل وإقامة الشعائر اليهودية، وانتظار قدوم المسيح، إنما عن طريق الكفاح المسلح والعمل السياسي، وهذا يعني أن إرهاصات الصهيونية الأصولية اليهودية تعود إلى تلك الفترات المتقدمة من

الزمن. كما أن الأصولية اليهودية في بدايات تشكلها لم تكن تنتظر المُعجزة الربانية لتحقيق الخلاص، وتستكين إلى ذلك؛ فشتات اليهود وتطلعهم إلى أن يجتمعوا في أرض إسرائيل جعلت ذلك الحلم هدفًا سعى الجميع إلى تحقيقه بشتى الصور، التي غالبًا كانت مسلحة.

أما انتظار المعجزة الربانية المتمثلة في قدوم المسيح، فقد استحدثها الحاخام يوحانان بن - زكاي، وكان هدفه من ذلك الحفاظ على البقية الباقية من اليهود؛ بعدما هلك الكثير منهم بفعل الثورات اليهودية. يفهم من ذلك أن الأصولية اليهودية عنيفة ومُتشددة، وتجنح طوال الوقت إلى الكفاح المسلح، وتراجعها عن ذلك كان مؤقتًا؛ لأمور رآها الحاخاميون تحافظ على البقية الباقية من اليهود. لذلك لابد من التفرقة بين الأصولية الحركية المُتشددة، والأصولية الدعوية المُحافظة. الأولى ترى في الكفاح المسلح، وسيلة لتحقيق الخلاص المتمحور حول انتظار المسيا وإقامة دولة الرب على أرض الآباء، والثانية ترى أن الخلاص معجزة إلهية لا يتدخل فيه بشر.

«بعد تدمير الهيكل سنة 70 ميلاديًا حصل الحاخام يوحانان بن - زكاي، الذي عارض الثورة الكبرى، على إذن روماني بتأسيس معهد في يفنه - مدينة صغيرة في السهل الساحلي - وعلم يوحانان تلاميذه أن اليهودية لن تقوى على البقاء في الشتات، خاصة بعد دمار الهيكل؛ إلا إذا استعيض من شعائر الهيكل بالصلوات والسلوك القويم، وإذا انتقل الاهتمام إلى دراسة الشريعة (حركة الميدراش) من الامتثال بها في المجالات التي حالت الحوادث دون التزامها، وإذا استعيض من المسيحانية الخلاصية النضالية بمذهب يأمر اليهود بالانسحاب عمليًا من التاريخ، والانتظار المستكين حتى يقضي الله بأن يكون أمر الخلاص مفعولًا، والقبول في هذه الأثناء بآلام شعبه.

ولم يكتف الحاخامات بتحريم الأعمال الموجهة جهة الخلاص، (العمل على تقريب النهاية) بل حرموا كل محاولة لحساب زمن النهاية. "ومن أجل حماية اليهود من العواقب الرهيبة، كان لابد من إقصاء الأفكار المسيحانية الخلاصية عن مركز الوعي اليهودي؛ لتظهر مقولات تلمودية تقول: (لئن كانت في يدك غرسة، وقيل لك أنظر ها هو المسيح - فامض في غرسك، ثم بعد ذلك اذهب واستقبله)". (٢٢)

ولا يمكن اعتبار هذا تفاعلًا أو تماهيًا من قبل الجماعة اليهودية، لكن هي محاولة منهم لاستيعاب الغضبة التي كانت عليهم وقتها. "إن ما ينفرد به اليهود هو انتشارهم في أقطار الأرض، الأمر الذي جعلهم دائما في وضع الدفاع إزاء بيئات ثقافية متنوعة، وهو دفاع متعدد الأساليب متنوع الحيل إلى حد التناقض الظاهر، كما يبدو من الحالات التي لم يجد فيها بعض اليهود وسيلة للدفاع عن دينهم في مواجهة بعض الأفكار المناهضة، إلا باعتناق هذه الأفكار نفسها والتبحر فيها ليصبحوا ملكيين أكثر من الملك، ولم تكن نتائج هذا الدفاع ذات طبيعة متجانسة إلا في حدود جغرافية وتاريخية معينة، فنحن لا نستطيع أن نستخلص – باطمئنان وثقة، أية مجموعة من الخصائص العامة التي تنسحب على الفكر اليهودي كله شرقًا وغربًا في مرحلة زمنية محددة؛ فالمتعصبون وهواة التعميم ودعاة النزعات الغالية هم فقط الذين يزعمون أن اليهودية قد استطاعت بفضل تجربتها التراجيدية الغنية طوال التاريخ، أن تتجنب الأجوبة المتهورة والناقصة وغير المقبولة؛ لأسئلة العقل العويصة".(٢٣)

رغم جهود الحاخام يوحانان، إلا أنه في العام (١٣٢ قبل الميلاد) وقع تمرد باركوخبا، والغريب أن أحد تلاميذ يوحانان المقربين ويدعى الحاخام عكيفا، بارك الانتفاضة، وسمى باركوخبا المسيح المنتظر، لكن التمرد فشل ليقتل على إثره نحو نصف مليون يهودي. وهذا يعني أن الفكر الخلاصي النضالي الذي وضعه الأصوليون لم يزل له تأثيره، على الرغم من جهود الحاخام يوحانان. ويمكن تفسير ذلك بسبب أعمال الاضطهاد والشتات التي عانى منها اليهود، فكانوا في تطلع دائم للعودة إلى أرض الآباء.

بعد فشل تمرد باركوخبا، استبعد كثير من الحاخامات أفكار الخلاص النضالي، وعملوا على ألا يحسب نهاية الزمن ولا أن يسعى لتعجيل أجلها، أو أن ينظم العودة الجماعية إلى أرض إسرائيل بالقوة. كما تم التقليل من أهمية العناصر الرؤيوية في الأسفار المقدسة وفي المأثور الشفهي، أو أنه تم إلغاءها تحت رقابة الحاخامات، وتم اعتبار باركوخبا مسيحًا خاطئًا دجالًا. وخلال تلك الفترة بدأت تتحول أفكار الأصولية اليهودية من الخلاص النضالي والمجابهة إلى موقف الاستكانة والمسالمة.(24)

وظني أن هذا الأمر أيضًا لم يدم طويلًا، فمع ظهور الصهيونية، وتحديد أهدافها بإقامة وطن قومي لليهود، ومع تحالفها مع الأصولية، عاد الفكر الحركي الثوري العنيف، ولعل ما حدث في حرب يونيو 1967 خير شاهد على ذلك.

إذن الأصولية اليهودية مُتشددة وعنيفة، وربما السبب في ذلك هو طبيعة اليهود بوصفها مجموعة عاشت الشتات فترات طويلة، حتى حصلوا على وعد بلفور أو تصريح بلفور (Balfour Declaration) وهي الرسالة التى أرسلها آرثر جيمس بلفور بتاريخ 2 نوفمبر 1917 إلى اللورد ليونيل والتر ديروتشيلد، يشير فيها لتأييد حكومة بريطانيا إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وبالفعل صدر قرار أممي العام 1948 بإقامة تلك الدولة. ومع عودة نشاط الصهيونية وتحالفها مع التيار الأصولي، نتجت لنا الأصولية الصهيونية، التي تسعى لتقديم الخلاص لشعب إسرائيل بعد جمعهم في أرض الباء، فلسطين بحسب زعمهم، لتعود الأصولية على ما كانت عليه من عنف وتشدد، واحتقار الآخر وإقصائه.

لعب موسى ابن ميمون (٣٠ مارس ١١٣٥ – ١٣ ديسمبر ١٢٠٤)، وهو من أكثر علماء التوراة اجتهادًا خلال فترة العصور الوسطى، دورًا بارزًا في دحضِ الأفكار المسيانية اليهودية، كجزء من سياسة الحاخامات الرامية إلى مقاومة ظاهرة المسحاء الدجالين، التي لطالما ظهرت في أوساط يهود الشتات. فكتب يقول: "لا قبل لأحد أن يعرف تفاصيل هذا الأمر وما شابهه حتى يقع ... لذلك ليس لأحد أن يشغل نفسه بالأفكار الخرافية، ولا له أن ينفق الوقت في المقالات الدراشية المتعلقة بهذا الأمر. وعليه أن لا يعدها الأولى بالاهتمام؛ لأنها لا تقود إلى مخافة الله ولا إلى محبته. وليس له أن يحسب زمان قيام الساعة. قال الحاخامات: ملاعين هم أولئك الذين يحسبون قيام الساعة. وعلى المرء أن ينتظر مجيئه (المسيح) ويسلم بهذه العقيدة".(٢٥)

وعلى الرغم من جهود موسى ابن ميمون، إلا أنه وقع ما كان يخشاه، فبعد مقتل ٣٠٠,٠٠٠ يهودي في أوروبا الشرقية على أيدي النهاب القوازاق، وخرج شبتاي تسفي، أبرز المسحاء الدجالين الذين ظهروا في الشتات. فمن سنة ١٦٦٥ إلى سنة ١٦٦٧، طغت موجة من الحماسة، المسيحانية بين يهود العالم من بولونيا إلى أمستردام فإيطاليا فتركيا

فاليمن ففارس، مع أنباء ظهور المسيح في فلسطين في شخص شبتاي تسيفي، لكن السلطان العثماني، أمر بسجن شبتاي. ولما خير بين اعتناق الإسلام أو القتل، اختار المروق من دينه، ما أدى إلى خيبة مريرة لآمال السواد الأعظم من اليهود. (٢٦)

كل ذلك، يعكس الرغبة اليهودية في تحقيق خلاصهم المتمثل في ظهور المسيح المخلص، وإقامة الهيكل في أرض إسرائيل. وعلى الرغم من كثرة تجاربهم مع المسحاء الدجالين، وجهود الحاخامات للتحذير منهم إلا أنهم سرعان ما كانوا يقعون فريسة في شراك هؤلاء الأشخاص. ولعل ذلك ما يفسر لنا السبب وراء عداء الحاخامات أو اليهود الأرثوذكس، للحركة الصهيونية في بدايات نشأتها.

وهذه المعارضة أو الوقفة ضد الصهيونية من قبل الحاخامات الأرثوذكس، أو الحاخامات الأصوليين، لا يمكن أن تفهم إلا إذا وضعت في سياق المعارضة الحاخامية المستديمة للنزعات الخلاصية النشيطة. والصهيونية في بدايات ظهورها كان روادها الأوائل يتشددون في تسويغ برنامجها، على الدعوات القومية العلمانية، وعلى إنقاذ اليهود من الاضطهاد، ووضع حدا لشتات الشعب اليهودي؛ بإعادته إلى أرض إسرائيل، وكل هذه الأفكار لا يمكن تقبلها من قبل الحاخامات إلا في إطار أنها نزعة خلاصية نشطة لا بد من وقفها.

«كان رأي الأرثوذكسيين الثابت أن حال اليهود في شتاتهم، مع ما يصاحبها من رزايا، إنما هي حال قضاها الله بقضائه، وأن السعي لتبديلها من دون أمر إلهي كفر، ولا طائل فيه طبعًا. وكان اليهود على الضد من ذلك، ملزمين إلزامًا دينيًا بأن ينتظروا الخلاص على يدي المسيح، مع الصبر والتسليم بالقضاء الإلهي، إلى أن يأذن الله في ذلك". (٢٧)

«إن الله طلب من العبرانيين عند ذهابهم إلى المنفى، بعد هدم الهيكل الثاني، أن يُقسموا على ثلاثة أشياء وهي: ألا يعودوا بالقوة، وألا يثوروا ضد الأمم، وألا يحاولوا التعجيل بنهاية الزمان ... وعلى أساس هذا التعديل فقد اعتبر البعض إقامة دولة إسرائيل نوع من الهرطقة، وعندما يتحدثون عن الأرض المقدسة يتم استخدام تعبير (أرض إسرائيل) بتأكيد واضح على الاسم بلغة اليدشين: حتى لا يقترب من التعبيرات المحدثة لليهود غير الاتقياء الذين يتحدون السماء". (٢٨)

وهناك طوائف معاصرة مثل الحسيدية ترى أن إقامة دولة إسرائيلية ليس من التوراة في شيء. "نحن ضد وجود دولة يهودية قبل مجيئ المسيح المنتظر سواء أكانت حكومتها دينية أم لا، إن الساتمار (فرع من اليهودية الأرثوذكسية المتطرفة التي أسسها الحاخام موشيه تيتلبوم ١٧٥٩-١٨٤١) لا يمكنهم قبول هذا الأمر الواقع الذي يخالف كل ما تعلمه لنا التوراة، إن إحدى الوصايا اليهودية التي يقدر عددها بستمائة وثلاث عشر تفرض علينا الإيمان بالآتي: أنا أؤمن بمجيء المسيح، فلو كنا نؤمن بخلاصه فإن هذا يقتضي أن ننتظر الحدث مهما تأخر، فماذا فعل الصهيونيون؟ لقد قالوا إنهم لا يؤمنون بمجيء المسيح المنتظر، ولذلك عليهم إقامة الدولة بأيديهم، وهذا لا يؤدي فقط إلى عدم استعجال مجيء المسيح المنتظر، وإنما يؤخر الخلاص، ولكي يمكن أن يظهر المسيح المنتظر يجب أن تختفي إسرائيل، وعلى كل حال فإن كل ما بناه الصهيونيون سيدمر ... إننا لسنا ضد إسرائيل من منطلق سياسي مثل الفلسطينيين، وإنما نعارضها على أساس من التوراة فقط، فلو أمنا بأن التوراة كتاب مقدس وأنه صادق لاستحال علينا الموافقة على قيام دولة إسرائيل".(٢٩)

وفي هذا الصدد كتب الحاخام حاييم سولوفيتشيك، أبرز الحاخامات الحسيديين - طائفة روحية يهودية نشأت في القرن السابع عشر - في نهاية القرن التاسع عشر، يقول سنة ١٨٩٩: "إن كل واحد من الصهيونيين سيئ السمعة في بلدته ... وإن مقصدهم كما أعلنوه ونشروه، هو اقتلاع الديانة من أصولها. وفي بيان حاخامي رسمي من تلك الحقبة ذُمَّ الصهيونيين وعدهم مضللين جددًا، يعلمون الشباب الفسق والفجور، ومن شأنهم أن يستجروا على أمتنا كارثة مادية أعظم من كل ما انجر على الشعب من كوارث، على أيدي الأنبياء المزيفين ومروجي الأضاليل عن خلاص إسرائيل".(٣٠)

والملاحظ أن القول بالإعجاز الرباني في عملية الخلاص، لم ترد فيه نصوص توراتية، ولكن جميع ما ورد نصوص ميدراشية خطها الحاخامات، وهذه النصوص أكدت ضرورة الابتعاد عن العنصر البشري للمخلص، وإلباسه لباسًا ملكوتيًا أو إلهيا، على سبيل الميدراش التالي: "قال بنو إسرائيل أمام تبارك اسمع: أولم تخلصنا على يد

موسى وعلى يد يهوشع وعلى قضاة وملوك؟ وها نحن الآن مستعبدون كما كنا سابقًا وكلنا خجل وكأننا لم نخلص في السابق! قال لهم تبارك اسمه: لأن خلاصكم كان بأيدي بشر، وكانت قياداتكم من البشر، كما كانوا يومًا وباتوا في القبر في الغد، لهذا خلصتكم بصورة مؤقتة، أما مستقبلًا فسأكون أنا بنفسي، سأخلصكم، لأني أزلي وأبدي، فسوف أخلصكم حتى قيام الساعة".(٣١)

ويمكن تلخيص أصحاب هذا الرأي في القول بأن الخلاص بيد الرب فقط أو عن طريق مندوبه المسيا، فهو المخلص لا يشاركه بذلك أحد، ولا يمكن التأثير عليه بشريًا بالمطلق، إلا من خلال توبة العباد إليه والمواظبة على عبادته، والتقرب له والالتزام بتعاليمه وأحكامه، "إن الباري يزن أمور الدنيا بالميزان، ويقيس كل عصر وعصر بالقسطاس ... فلا يثور ولا يُثار حتى بلوغ الدرجة الموضوعة سلفًا".(٣٢) ويعني هنا حتى يزداد عدد الصديقين السهود زيادة عظيمة.

فيما ظهر رأي آخر مناقض للأول، وهو الرأي الرامي إلى تعجيل الخلاص. "إن الابتعاد عن أحكام وتعاليم الرب يعجل في نزول الشدائد على شعب إسرائيل، وبالتالي يدفعهم إلى التقرب من الرب ومن عبادته، أو إن الخلاص يتأدى على أيدي ملوك مؤيدين من السماء بصورة مباشرة أو غير مباشرة، يفرضون أشد الأهوال على العباد، ويضيقون عليهم سبل الحياة، وفي أعقابها فقط تظهر بشائر الخلاص، من خلال نزول الأهوال والمصائب العظيمة يعقبها إحلال السلام بانتظار عصر جديد هو عصر الحياة الأبدية القادمة. (إذا رأيتم الأهوال تنزل عليكم، في تلك الساعة تنالون الخلاص)".(٣٣)

إن الصهيونية وفق هذا التأويل الأخير، حركة خلاصية بامتياز سوسيولوجيًا؛ لأنها جاءت لتلبي حاجة الطوائف والتجمعات اليهودية الأوروبية بوضع حد للمجازر المرتكبة بحقهم ومطاردتهم، والتي نظر إليها على أنها إشارات خلاصية؛ لأنها من الأهوال والشدائد التي يتعرض لها بنو إسرائيل. ولكن نزعة الصهيونية إلى الحداثة؛ بوصفها وعدتهم بالعتق من أغلال الإرث القديم وفتح أبواب الرخاء والتقدم المادي

والروحي والاندماج في المجتمع على أسس المساواة الفردية، هو ما أفضى إلى إثارة المخاوف ضدها، لكن جهود الحاخامات هي التي نجحت في التنسيق بين الصهيونية من جهة، والأصوليون من جهة أخرى.

لابد من التفرقة بين دوافع نشأة التيار الأصولي قديمًا، وبين دوافع نشأته على شكله الحالي. ففي القرون الأولى بعد ظهور اليهودية، كان هدف التيار الأصولي المُتمثل وقتها في الحاخامات الأرثوذكس، إنهاء شتات اليهود، وتجميعهم في أرض إسرائيل، وإقامة الهيكل المقدس، وانتظار المسيح المخلص، وكانت معظم تجاربهم للخلاص نضالية ما أدى إلى تعرضهم لأعمال اضطهاد وقتل وتنكيل، ليظهر جيل جديد من الحاخامات الأرثوذكس، يرى عدم استعجال ظهور المُخلص أو العمل على تبكير قيام الساعة، وأعلنوا أن تحقيق كل هذه الأهداف عمل إلهي لا دخل لبشر فيه، وما على يهود الشتات إلا الانتظار حتى يتحقق الفرج.

أما دوافع نشأة التيار الأصولي بشكله الحالي، كان بسبب النتائج المُذهلة التي حققها هجوم 5 يونيو 1967، إذ مكن اليهود من بسط سيطرتهم على أجزاء من مصر وسورية والأردن والضفة الغربية في فلسطين، وبالتالي وضعوا أيديهم على المدن المُقدسة بالنسبة لهم، وهي مدن ذات أهمية توراتية، بينها مدينة القدس القديمة، والخليل، ورام الله؛ الأمر الذي فتح شهية الجميع (الصهيونيين – المتدينين) على جمع اليهود من الشتات، في أرض الميعاد، أو أرض إسرائيل. واعتبروا أن الاستيطان والتوسع في ضم الأراضي أمر يعجل من إقامة دولتهم المنشودة على الأرض المقدسة، وبدأوا في انتظار ظهور المُخلص.

واستندوا في ذلك إلى ما جاء في الآية 18 من الإصحاح 15 من سفر التكوين "لِنسلِك أُعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات"، وفي الآية 8 من الإصحاح 17 من سفر التكوين "أُعطي لك ولِنسلِك من بعدِك أرض غربتك، كل أرض كنعان مُلكاً أبديا". كل هذه العوامل أدت إلى تحالف الصهيونية مع المتدينين الأصوليين، لتنتج لنا الأصولية الصهيونية.

لكن كيف حدث التحالف بين الصهيونية والتيار الأصولي؟

«في أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧ ظهر تحدٍ كان في طريقه إلى البروز على أيدي الحراس الشباب في الحزب الديني القومي (حزب المفدال حالياً)، ممن ساءهم أساليب المقايضة السياسية والرعاية التسلطية التي كانت تمارسها زعامة الحزب الطاعنة في السن. فقد برز عقب الحرب طلائع القيادة الشابة، بزعامة حانان بورات، وزفولون هامر، ويهودا بن مئير، والحاخام حاييم دوركمان ... والنجاح الذي حققته هذه الجماعة كان يتطلب مستويات لا سابق لها في تعاون الدعاة المتدينين (الأصوليين) وغير المتدينين (الصهيونية)؛ لأجل تنفيذ مهمة دمج أرض إسرائيل كلها في دولة إسرائيل، وكان الشكل الأول للأصولية اليهودية هو جماعة (غوش إيمونيم)". (٣٤)

هنا يبرز اسم رئيس حاخامات فلسطين في القرن العشرين، الحاخام أبراهام بتسحاق كوك* (Abraham Isaac Kook (1865 – 1935؛ إذ لعب دورًا بارزًا في الدمج ما بين الصهيونية كحركة علمانية والتيار الأصولي. هذا الدور لم يكن بشكل مباشر؛ ولكنه عمل في بداية الأمر على استيعاب أفكار الصهيونية العلمانية، وهو الذي جعلهم يبجلونه؛ إذ سعوا إلى البحث عن شرعية لهم في أوساط اليهود المتدينين، لكنه هو من استغل تبجيل قادة الصهيونية له، في تعزيز الدمج بين الأصولية والصهيونية.

ومن أشكال استيعاب بتسحاق كوك للصهيونية، قوله: "في أزمنة الخلاص يتزايد الفسق والاستهتار ... يتمرد الناس على كل شيء ... يعصون ويرذلون؛ يطلبون الكلأ في المراعي الغربية، يعتنقون المثل الغريبة ويستهترون بكل المقدسات ... وتكشف تلك النفوس الجامحة عن قوتها بحيث لا يردها عن وجهها سياج ... إلا أن الأنفس ذات البطولة الحقة تعلم أن هذه القوة هي إحدى الظواهر التي لابد منها لكمال العالم". (٣٥)

كانت أفكار بتسحاق على نقيض ما كان يعتقده معظم اليهود التقاه في أوائل القرن العشرين، فلم ينزعج من رفض الشريعة الدينية اليهودية جهارًا من قبل الصهيونيين العلمانيين، ولا حتى من المجاهرة الصاخبة بإلحادهم، وقد وبخ حاخامًا من زملائه لعدم تسامحه مع بعض الشبان اليهود الذين تركوا فرائض دينهم و انساقوا وراء قضايا الاشتراكية

الثورية والاشتراكية الصهيونية، قائلًا: "ليس نبذ هؤلاء الأولاد الذين ضلوا عن سُبل التوراة والإيمان الديني، و انجرفوا في تيارات العصر الجارفة – أقول بلا تردد: ليس نبذهم من إرادة الله في شيء ... فالجوهر الداخلي للقداسة اليهودية لا يزال في قلوبهم".(٣٦)

ويمكن تلخيص سياسة بتسحاق كوك في أن التعامل والانخراط مع العلمانيين وما هو دنيوي وعارٍ تمامًا عن القداسة، جائز وممكن في إطار التحضير لانبعاث الإلهام الإلهي مجددًا فيهم، ولذلك رحب بعودة اليهود بعد ألفي عام من المنفي، وذلك على الرغم من أن تلك العودة تعد خرقًا لوصايا التوراة. إنه يرى أن للصهيونية دورا في إعادة اليهود من المنفى، وأن ذلك سيساعد اليهود في استعادة رسالتهم الإلهية؛ كي يحققوا خلاصهم في تمام بهائه. وهذا يعد من أكبر الأمثلة على خلط الدين بالسياسة والاستخدام المتبادل بينهم.

يرى بتسحاق أن الصهيونية لها دور مهم في عملية الخلاص؛ فعمليات الاستيطان في أرض إسرائيل، وحراثة ترابها وتنمية إمكانياتها لاستيعاب أعداد متزايدة من اليهود، تنفذ بذلك الخطة الإلهية وليست هذه الخطة لخلاص الشعب اليهودي وحده، من خلال استعادته أرضه ومجيء المسيح، بل لخلاص بقية الأمم أيضًا، ولاحقًا أقنع بتسحاق قادة الصهيونية بالتعاون مع اليهود المتدينين بعدما بيّن لهم المعنى الروحي والخلاصي لمنجزاتهم. لتظهر جماعة "غوش إيمونيم" كأول اتحاد بين الصهيونيين القوميين والحاخامات المتدينين (الأصوليين). وبات تركيزهم على أن عملية الخلاص تتم بشكل فعلى عن طريق التوسع في الاستيطان.

اللافت للنظر أن المرونة التي بدا عليها التيار الأصولي بقيادة الحاخام أبراهام بتسحاق كوك، كانت السمة المميزة للتيار، وسمحت بحدوث التقارب بين (اليهود المتدينين وغير المتدينين)، فقادة "غوش إيمونيم"، تحملوا ترك الصهيونيين إجمالًا القيام بالشعائر، واعتقدوا أن احتكاك الصهيونيين بالأرض المقدسة مع الاستمرار في وعظهم، كل ذلك من شأنه أن يسوقهم لقبول الهالاخاHalakha، وتفهم المعنى الخلاصي الذي يقومون به، لكن الموت غيب الحاخام بتسحاق ولم يمهله لإتمام مشروعه إقامة مؤسسات لإرشاد المشروع الصهيوني إرشادًا روحيًا، فاليشيفا (مدرسة يهودية دينية تعلم مصادر

الهالاخاه الشريعة اليهودية وخاصة التلمود، وكذلك طرقات الإفتاء في الديانة اليهودية) التي أنشأها كوك الأكبر في القدس لتقوم بهذا العمل، انحطت عن مرتبتها بعد وفاته.

المرحلة الثانية لتبلور الأصولية:

أما المرحلة الثانية لتبلور الأصولية، التي هي على شكلها اليوم، فقد قام بها نجل الحاخام إبراهام بتسحاق كوك، الحاخام تسيفي يهودا كوك، والمعروف بـ»الحاخام تسيفي يهودا». فقد حدد المراحل السياسية والروحية التي ستنطوي عليها عملية الخلاص، والتي تقوم في أساسها على أنشطة الصهيونية القائمة على العمل السياسي والروحي والتوسع في الاستيطان وجذب اليهود من الشتات في أرض إسرائيل. وظلت هذه المراحل فيما بعد تشكل دستورًا للقادة السياسيين.

"لقد حدّد الحاخام تسيفي يهودا خطوات ثلاث سياسية وروحية تنطوي عليها عملية الخلاص فضلًا عن تحديد الخطوات المحسومة التي ستدفع بها قدمًا نحو خاتمتها المجيدة. والمرحلة الأولى: هي عودة يهود الشتات إلى أرض إسرائيل، وهي العملية المنظمة تنظيمًا علمانيًا في معظمها، ويقصد بذلك أنشطة الصهيونية التي تستهدف إقامة وطن قومي لليهود. ويبرر تسيفي موافقته على أن تتم تلك المرحلة بشكلها العلماني؛ بحجة الخوف من الأذى الجسدي لليهود في الشتات. أما المرحلة الثانية: هي مرحلة إعادة رسم العلاقة بين شعب إسرائيل وأرض إسرائيل؛ وهو الأمر الذي يستلزم الاستيطان الكامل في الأرض، وإحياء إسرائيل فيها، والتحقيق الفعلي لكوننا قد ورثنا الأرض، وكونها في حيازتنا، لا في حيازة أية أمة أخرى. أما المرحلة الثالثة: وهي المرحلة التي تتم فيها عملية الخلاص، وهذه المرحلة تستلزم توبة الحب، وفيها يدب النشاط في صحة اليهود الروحية بفضل احتكاكهم بكامل أرض إسرائيل، فينوبون إلى الله ويلزمون أوامره ونواهيه. وفي هذه المرحلة يقترب المسيح والخلاص النهائي بسرعة تتلائم طردًا مع تزايد التزام الشعب اليهودي الفرائض الدينية". (٣٧)

من كل ذلك يُفهم أن الحاخام بتسحاق كوك هو من وضع الأساس المذهبي الذي أضفى الشرعية الدينية على العلاقة بين اليهود المتدينين وغير المتدينين (الصهيونين)؛

من أجل تحقيق الأهداف الصهيونية التي كان الحاخام بتسحاق يراها ترتيبًا إلهيًا لإتمام عملية الخلاص. أما نجله الحاخام تسيفي يهودا فقد اعتبر أن الأحداث السياسية والوقائع الفارقة في تاريخ الدولة الإسرائيلية مثل حرب يونيو 1967 وحرب 1973، من جهة، وعمليات الاستيطان في الأراضي المحتلة وضمها، من جهة أخرى، كلها تدبير إلهي للخلاص النهائي. وبالتالي قدمت الأنشطة السياسية للصهيونية إلى الأصولية اليهودية كل ما احتاجت إليه لتحقيق مشروعها.

وبذلك أصبح الاستيطان جزءًا أصيلًا في مبادئ التيار الأصولي، بوصفه الفعل الذي يمكن اليهود من أرض إسرائيل، أو الأرض الموعودة التي وعدهم بها الرب. وكما هو واضح حاليًا في سياسة الحكومات الإسرائيلية، فإنهم يشجعون على الاستيطان واقتطاع الأراضي الفلسطينية وضم المزيد من الأراضي، رغم أن تلك الخطوات وفق القانون الدولي غير شرعية، لكن وفق مبادئهم الرؤيوية والخلاصية النضالية، جزء من مشروعهم لتحقيق الخلاص النهائي.

أصبح الاستيطان جزءًا أصيلًا في سياسة الحكومات الإسرائيلية، وفي فتاوى الحاخامات؛ لأن الاستيطان كما بينا سابقًا بات مرحلة رئيسة في عملية الخلاص التي رسمها التيار الأصولي المتحالف من الصهيونية. وقد نشطت جماعة "غوش إيمونيم" في عمليات الاستيطان بعد فوز حزب الليكود، وهو حزب يميني قومي، ليتشكل على إثر ذلك ائتلاف ديني قومي حاكم، وهو الذي شجع "غوش إيمونيم" باعتبارها تيارًا أصوليًا على التوسع في عمليات الاستيطان، إلى الدرجة التي بات يتصور فيها أن إسرائيل تتحرك مسرعة في اتجاه الخلاص.

عقائد الأصوليين اليهود:

يقوم الفكر الأصولي في اليهودية على مجموعة من العقائد التي تبدو متعارضة بعض الشيء، أو مختلف عليها من قبل الحاخامات اليهود، لكن في عمومها تعبر عن الفكر الأصولي في اليهودية، سواء كانت تلك العقائد محل إجماع من رجال الدين أو مختلفًا عليها.

وقبيل الشروع في التطرق إلى مبادئ الأصولية اليهودية، لابد من العروج سريعًا حول الموقف من الدين في المجتمع اليهودي الإسرائيلي. ينقسم ذلك المجتمع إلى ثلاثة أقسام، "اليهود المتدينون الذين يلتزمون بتعاليم الدين اليهودي، كما يحددها الحاخامات الأرثوذكس، والكثير منهم يركزون على الشعائر أكثر من تركيزهم على جوهر الإيمان، وهم يمثلون نحو 20 ٪ من المجتمع الإسرائيلي. أما القسم الثاني من المجتمع الإسرائيلي، هم اليهود التقليديون (إصلاحيون ومحافظون وعددهم نحو ٥٠ ٪ من المجتمع)، وتحافظ هذه الشريحة على التعاليم المهمة للديانة اليهودية، بينما يقومون في نفس الوقت بانتهاك التعاليم غير الملائمة من وجهة نظرهم، وهم يقدسون الحاخامات والدين. أما العلمانيون فهم القسم الثالث من المجتمع، ويمثلون نحو ٣٠ ٪ منه، وهذا القسم لا يكن أي احترام للحاخامات أو للمؤسسات الدينية".(٣٨)

من وجهة نظري، فإن التقسيم طبيعي وسائد في غالبية المجتمعات على اختلافها العرقي، وعلى الرُغم من الاختلافات الظاهرية بين تلك الأقسام، لكن الأهم في ذلك هو موقفهم من القضايا الأساسية لليهود وعلى رأسها كيفية تحقيق الخلاص لشعب الله المختار. إن الاختلافات الموجودة بين أقسام المجتمع الإسرائيلي موجودة منذ دعوة العلماني (تيودور هرتزل Theodor Herzl مايو 1860 – يوليو 1904) لعقد مؤتمر لمناقشة فكرته التي تقضي بإقامة دولة لليهود حلًّا لما عُرِفَ في حينه بالمشكلة اليهودية، فوقتها عارض هذه الفكرة الغالبية العظمى لليهود المتدينين في العالم.

وقد بينا الدور الذي لعبه بعض الحاخامات وعلى رأسهم، الحاخام إبراهام بتسحاق كوك، ونجله الحاخام تسيفي يهودا كوك، الذين وفقوا بين أهداف التيار العلماني (الصهيونية) والحاخامات الأرثوذكس، فقد عملا على الفصل بين فكرة الخلاص وفكرة الدولة، على اعتبار أن فكرة الخلاص هي أكبر من البشر وأكبر من الطبيعة، أما الدولة التي يدعو لها العلمانيون أمثال هرتسل وحاييم وايزمان Chaim Weizmann نوفمبر ١٨٧٤ – نوفمبر ١٩٥٢) فهي لإيجاد حلول مؤقتة لليهود. وقال الحاخام ابراهام كوك، إن فكرة إقامة دولة يهودية في فلسطين، هي فكرة ربانية وأن الحركة الصهيونية ما هي إلا أداة

في يد الله. هنا يظهر تماهي جميع أقسام المجتمع الإسرائيلي على اختلاف توجهاتها مع الفكرة الأساسية وهي كيفية تحقيق الخلاص بعد إقامة دولة الرب.

يشير إسرائيل شاحاك، إلى أن الإسرائيليين المتدينين، ينقسمون إلى مجموعتين مختلفتين. "يسمى أعضاء الجماعة الأكثر تطرفًا أو تشددًا الحريديم، وهي جمع لكلمة حريدي بمعنى الذي يخشى الله أو المتقي. أما أعضاء الجماعة الأكثر اعتدالًا فيطلق عليهم اليهود المتدينون القوميون. ويطلق أحيانًا على اليهود المتدينين القوميين "ذوي الطواقي المشغولة" نسبة إلى ما يضعونه فوق رؤوسهم. أما الحريديم فإنهم يرتدون أغطية رأس سوداء ولكنها لا تكون مشغولة أبدًا أو يرتدون قبعات سوداء. ويرتدي اليهود المتدينون القوميون عادة الملابس العادية التي يرتديها أفراد الشعب الإسرائيلي، بينما يرتدي الحريديم دائمًا الملابس السوداء".(٣٩)

من أبرز عقائد الأصولية اليهودية:

التعلق بأرض إسرائيل، والتمسك بالعودة إليها. فهم يرون أن حياة اليهود تشوهت على المستويين الفردي والجماعي؛ جراء الوجود غير السوي في "الشتات" أو "الدياسبورا Diaspora»، وما صاحبها من انحطاط واضطهاد، لذلك إن هم تجمعوا في أرض وطنهم (يرتس إسرائيل)، سيشكلون أكثرية السكان، وبالتالي سيكونون ثقافة قومية وشخصية لا تختلف في مكوناتها الأساسية عن تلك التي تتسم بها الأمم الأخرى. (40) ويفهم من ذلك أن فكرة العودة إلى أرض الرب يترتب عليها تكوين أمة تكون نواة لدولة يجتمع فيها اليهود تمهيدًا لانتظار المسيا؛ لتحقيق الخلاص.

أصبحت العودة إلى الأرض الموعودة، مرتكزًا فكريًا لدى الأصوليين الذين عملوا على تشجيعه حتى وإن اختلفوا في طريقة تلك العودة هل تتم بالماشيح المنتظر أو من دونه، لكن اليهودي بات لديه عقيدة العودة إلى الأرض الموعودة، وهي العقيدة ولدت لديه إحساسًا دائمًا بالنفي الأزلي ورغبة في العودة The Jewish Sense Of External Exile and Permanent Desire For Return.

يقول الكاتب والمفكر عبد الوهاب المسيري Abdel Wahab El-Messiri (أكتوبر 1938 – 3 يوليو 2008) في كتابه موسوعة (اليهود واليهودية والصهيونية): "أعضاء الجماعات اليهودية عندهم إحساس بالنفي الأزلي ورغبة دائمة في العودة، وكأن هذا الإحساس وهذه الرغبة هما جزء من جوهر يهودي ثابت ومن المكونات الأساسية لطبيعة اليهود البشرية. واليهودي حسب هذا النموذج التفسيري هو غريب ينتقل من مكان إلى آخر، ويحس بأنه في المنفى، ومن ثم فإن عنده رغبة عارمة ودائمة في إنهاء حالة المنفى هذه والعودة إلى وطنه الأصلي (فلسطين). لذا أصبحت عبارات مثل المنفى والشتات والدياسبورا والعودة كلمات متواترة مألوفة في الأدبيات الخاصة باليهود واليهودية، وتم تطبيعها تمامًا، وكأنها مجرد وصف موضوعي ومحايد لأعضاء الجماعات اليهودية وسلوكهم". (٤١)

عقيدة المنفى والعودة Exile And Return وتشكل هذه العقيدة إحدى النقاط المحورية في الرؤية اليهودية إلى التاريخ والكون، وهي ترتبط مثل كل العقائد الدينية اليهودية بعقائد أخرى مثل عقيدة الماشيح والشعب المختار، وحسب هذه العقيدة "فإن إله اليهود حكم على شعبه المختار بالنفي والتشتت في بقاع الأرض؛ لسبب يختلف الحاخامات في تحديده، وستستمر حالة المنفى هذه إلى أن يعود الماشيح المخلص، وأحاط بهذه العقيدة هالة من القداسة والخصوصية".(٤٢) إذن باتت عقيدة المنفى والعودة إلى الأرض المُقدسة، سمة أساسية ضمن عقائد الأصوليين اليهود، التي يتحقق بها خلاص اليهود، ليصبح الإحساس بالغربة شعورًا يتفرد به اليهود، كما يتفرد المسيحيون بعقيدة صلب المسيح لفداء البشرية؛ لتخليصها من الخطيئة الأولى، وكما يتفرد الشيعة الإثنى عشرية، بعقيدة انتظار الإمام الغائب، أبو محمد حسن العسكري؛ ليملأ الأرض عدلًا بعد ان ملئت ظلمًا وجورا.

والملاحظ أن عقيدة النفي عند اليهود ولدت لديهم شعورا بأن حياتهم مؤقتة، فضلًا عن إضعاف إحساسهم بالزمان والمكان، فاليهودي وخاصة الأصوليين الأرثوذكس، يرفضون فكرة تعجيل مشيئة الرب، بحجة تحقيق الخلاص، ويتمسكون بضرورة البقاء

في الشتات حتى ظهور الماشيح؛ ليقود شعبه إلى الأرض المقدسة تمهيدًا لإتمام عملية الخلاص، ومع إيمانهم وقبولهم بالبقاء في المنفى يتولد لديهم شعور الغربة فيفقدون الإحساس بالزمان والمكان؛ لكون حياتهم الحقيقية تبدأ مع العودة إلى الأرض المقدسة.

لكن بعد ظهور الصهيونية، وتبلور فكرها حول ضرورة إقامة دولة لليهود في فلسطين، ليصبحوا أمة مثل بقية الأمم، اعتبر بعض الحاخامات تلك الأفكار الصهيونية، حركات مشيحانية تستهدف تجميع اليهود في أرض الرب. وهنا يظهر اختلاف بين الحاخامات حول عقيدة النفي والعودة، هل يتم إنهاء المنفى والعودة إلى الأرض المقدسة من دون ظهور الماشيح المخلص، فيتحول بذلك اليهود إلى حركات مشيحانية دون وجود ماشيح، وهو الأمر الذي اعترض عليه اليهود الأرثوذكس. أم يمكث اليهود في أرض غربتهم حتى ظهور الماشيح المخلص ليقودهم إلى أرضهم الموعودة.

يقول المسيري: إن الحاخامات وجدوا مخرجًا لذلك الخلاف، فبعد صهينة اليهودية، بدأت قطاعات داخل اليهودية الأرثوذكسية ذاتها تحاول أن تصل إلى تفاهم مع الصهيونية، فعدلت المتتالية إلى ما يلي: نفي - عودة بعض اليهود للإعداد للخلاص - عودة الماشيح - عودة جميع اليهود. وبالتالي فإن الاستيطان الصهيوني هو إعداد لعودة الماشيح، والدولة الصهيونية بداية الخلاص؛ أي أن عودة الماشيح تصبح نتيجة لعودة اليهود لا سبب لها. (٤٣)

التعديل الذي جرى على اليهودية الأرثوذكسية بعد تزايد نفوذ الصهيونية، أنهم سمحوا بهجرة جزئية لبعض اليهود كإجراء أولي يبرر العودة إلى الأرض الموعودة من دون ظهور الماشيح، ليتم بعد ذلك الإعداد والتجهيز لاستقبال المُخلص، تمهيدًا لتنفيذ عملية الخلاص، لكن لا تأويلات لحاخامات تُنبئ بميعاد ظهور الماشيح، فقط حديث عن مزيد من التعبد وإقامة الشعائر وتقديم الأضاحي؛ حتى يكون اليهود على استعداد لاستقباله.

الأمر ذاته يظهر عند الشيعة الإثنى عشرية، إذ لا تأكيدات عندهم على موعد عودة الإمام الغائب. كما يؤمن المسيحيون بالعودة الثانية للمسيح عيسى بن مريم، كملك

منتصر، وأنه على الرغم من عدم الجزم بتاريخ العودة، إلا أنه من المقرر أن يحكم الأرض 2000 عام، وهو المعروف في المسيحية بالحكم الألفي.

وهناك من الفلاسفة اليهود من حاول تقديم معالجات لعقيدة المنفى وتصورهم للدولة اليهودية، فمارتن بوبر Martin Buber (1878 – 1965) «سعى لاستبدل الإنسانية العبرية بالقومية اليهودية؛ وذهب في صهيونيته الروحية إلى اتباع أسلوب الحوار ونبذ العنف، وتبني فكرة الدولة مزدوجة القومية التي تضم العرب واليهود معا، مما جلب عليه عداء الصهاينة".(٤٤)

أما الفيلسوفة حنا أرنت H. Arendt (1906 – 1975)، رفضت ممارسات اليهود عند عودتهم إلى أرض إسرائيل، "فرغم ارتباطها بشعبها، أبت أن تنضم إلى الصهيونية، مفضلة أن تبقى حرة طليقة، أو حسب تعبيرها منبوذة Pariah حتى بين المنبوذين Pa-riah even among pariahs حتى لا تتورط في أعمال العنف التي جرت مع هجرة اليهود إلى فلسطين".(٤٥)

«إن تجربة أرنت التي جعلتها تعيش محنة الاضطهاد النازي لليهود، لم تدفعها إلى أي رد فعل عاطفي ولم توقعها في فخ التعصب كما حدث لكثير من المثقفين اليهود؛ والدليل على ذلك أنها رفضت كل الضغوط التي مورست عليها من أجل استمالتها إلى الصهيونية، وفضلت أن تبقى منبوذة حتى بين المنبوذين، بل لقد مضت إلى أبعد من ذلك حين أصرت على أن تكون فلسطين دولة مزدوجة الهوية تضم كلًا من الفلسطينيين واليهود، وحين نشبت الحرب العالمية الثانية طالبت اليهود بتكوين جيش يقاتلون به هتلر A. Hitler (1889 – 1945) بدلًا من قتال الفلسطينيين. ويقوم رأي أرنت في هذه القضية على أن الاضطهاد غير الإنساني الذي تعرض له اليهود في أوروبا عامة وتحت الحكم النازي خاصة، لا يعطيهم أبدًا الحق في أن يضطهدوا غيرهم ويخلقوا ضحايا جددًا من عرب فلسطين، ولهذا فقد أحست أرنت بالإحباط عند إعلان قيام الدولة الإسرائيلية سنة ١٩٤٨، إذ لم تر في ذلك إلا انتكاسة في اتجاه العودة إلى قومية القرن التاسع عشر. وقد لا نعرف قيمة هذا إلا إذا قارناه لا بموقف المستنيرين من مفكري

اليهود فقط، ولكن بموقف بعض الفلاسفة الكاثوليك مثل جاك ماريتانJ. Maritain 1973 – 1882) الذي رأى أن لليهود حقًا إلهيًا مطلقًا في فلسطين".(٤٦)

«لم تكن أرنت يهودية متدينة بالمعنى الضيق، إلا أنها أمنت بأن من يتخلى عن هويته، إنما يتخلى قبل كل شيء عن وجوده. ولم تكن أرنت استثناءً في هذا السياق، فأشد المفكرين علمانية لم يكونوا بعيدين تمامًا عن روح التراث اليهودي، ويصدق ذلك على كارل ماركس (K. Marx (1818 – 1883، وسيجموند فرويد (S. Freud 1939 – 1856)؛ ذلك أن إنتاج ماركس الفكري يمكن تفسيره كما فعل جارودي .R Garoudy على أنه امتداد لذلك الصوت العالي الصادر عن كبار رسل اليهودية، ففي كتاب (المسألة اليهودية) لا يقدم تصورًا خاصًا لخلاص اليهود وتحررهم منفصلًا عن خلاص البشرية".(٤٧)

موقف أرنت يتشابه كذلك مع موقف ماركس، تجاه الخلاص الجمعي للبشرية، "لما كان المجتمع الخالي من الطبقات الذي دعا ماركس إلى تحقيقه يشبه في بعض مظاهره المعروفة من الجمهور، المجتمع المسيحي الأول شبهًا غريبًا".(48) لكن ثمة تصور أخر لعقيدة المنفى، هو أنه عقاب إلهي، وأن خلاص اليهود لن يتم إلا من دونه، "وقد نبه الرب بني إسرائيل إلى ما ينتظرهم من عمليات التدمير الجزئي والكلي: لعنة واضطراب ورجز وهلاك وفناء وأمراض وهزائم، والإصحاح الثامن والعشرون من سفر التثنية يقدم صورة مفصلة لعمليات الإبادة الإلهية للشعب المختار؛ إذا ما عصاه ولم يطبق الناموس".(٤٩)

«ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم، تأتي عليك جميع هذه اللعنات وتدركك ١٦ ملعونا تكون في المدينة وملعونا تكون في الحقل ١٧ ملعونة تكون سلتك ومعجنك ١٨ ملعونة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك، نتاج بقرك وإناث غنمك ١٩ ملعونا تكون في دخولك، وملعونا تكون في خروجك ٢٠ يرسل الرب عليك اللعن والاضطراب والزجر في كل ما تمتد إليه يدك لتعمله، حتى تهلك وتفنى سريعا من أجل سوء أفعالك إذ تركتني". (سفر التثنية الإصحاح الثامن والعشرون)

ومن أبرز عقائد الأصولية اليهودية أيضًا:

تأكيدهم على أن اليهود هم شعب الله المختار: وهم يرون أن «المقتضيات المتعالية التي يجب على اليهود الاستجابة لها تلغي القوانين الخلقية، وأن الأوامر الإلهية التي تلزم اليهود تتجاوز المفاهيم الإنسانية للحقول القومية وتتعالى عليها».(٥٠)

لكن ثمة ملاحظة لابد من الإشارة إليها، وهي أن عقيدة نفي وشتات اليهود لا تتناسب مع عقيدة أنهم شعب الله المختار أو أنهم أبناء الله، فكيف يرضى الله لشعبه بهذا التيه والضياع. وفي هذا الصدد يقول المسيري: "احتار المفسرون اليهود في تفسير عقيدة وظاهرة النفي .. ولقد فُسر النفي بأنه إحدى علامات التمييز والاختيار؛ فاليهود الذين تقطن الشخيناه (السكينة) في وسطهم، والذين يقطنون بوضعهم وسط الأغيار، لا يحملون أوزارهم وحدهم وإنما يحملون أيضًا أوزار الأمم كافة. لذلك فإنهم بمثابة الروح التي توجد في المادة، وبالتالي فإن نفيهم تمهيد لخلاص البشر. وهكذا يصبح النفي عقوبة على الذنوب، وعلامة من علامات التمييز في آن واحد، وحينما يحل اليوم الموعود، سيأتي الماشيح ويقود شعبه إلى الأرض المقدسة. ولكن بعض الحاخامات ذهبوا إلى أن المنفى والشتات عقاب حل على اليهود؛ بسبب تركهم طرق الرب، وبسبب تأغرقهم. ويذهب المسيحيون إلى أن الشتات عقاب لليهود على إنكارهم المسيح عيسى بن مريم".(٥١)

مما سبق يفهم أيضًا أن الأصوليين اليهود لا يعترفون بالقوانين الوضعية ولا يرون فيها أي صفة إلزامية، وأن قوانينهم الإلهية أحق أن تتبع. لكن ما السبب وراء ذلك الاعتقاد؟ يرى الكاتب إسرائيل شاحاك، في كتابه "الأصولية اليهودية في إسرائيل" أن "الأصولية اليهودية، هي الإيمان بأن الأرثوذكسية اليهودية، القائمة على التلمود البابلي -the Baby lonian Talmud وبقية الكتابات التلمودية، ومجمل الشريعة اليهودية (الهالاخاه)، ما زالت صالحة وسوف تظل كذلك أبدًا. ويؤمن الأصوليون اليهود بأن الكتاب المقدس نفسه لا يعتد به ما لم يفسر على النحو الصحيح من خلال كتابات التلمود".(٥٢)

«التلمود Talmud: يقوم بشكل أساسي على الميشناهThe Mishnahوالميشناه هي الشرائع والشروح والتفاسير التي وضعها الحاخامات لما يقولون إنه أول ما أنزل من

التوراة. كما يقوم التلمود أيضًا على الجمارا Gemara وهو شرح ونقاش للميشناه، وقد قام به حاخامين في فلسطين، وآخرون في بابل. ويـُشار إلى حاخامات الجمارا باسم الشّـُراح أمورائيم، الذين يُحللون آراء وأقوال حاخامي الميشناه المعروفين بالتنائيم". (53)

تظهر الكتابات اليهودية مدى اهتمام الأصوليين بالجمارا البابلية، ويرونها أكثر شمولا وتوسعا، لذلك أصبح التلمود البابلي أكثر شهرة، وتدوالًا، وهو الكتاب القياسي عند اليهود. "والتلمود يعني دائمًا البابلي، وكان من المسلم به أن قضايا الشريعة اليهودية يجب حلها بالرجوع إلى التلمود البابلي، وليس الفلسطيني، وأن هذا الأخير يمكنه إصدار أحكام فقط في الحالات التي يكون فيها التلمود البابلي صامتًا أو غامضًا". (٥٤) وأرى أن التلمود عند اليهود يشبه كتب الأحاديث عن المسلمين. ففي الإسلام ينزلون "السنة النبوية" المُدونة في كتب الأحاديث (صحيح البخاري – صحيح مسلم – سنن النسائي – سنن أبي داود – سنن الترمذي – سنن ابن ماجه)، في المرتبة الثانية للتشريع، وفي بعض الأحيان المصدر الأول، ويرون أن تلك الأحاديث تفسر الآيات القرآنية، أما في اليهودية ينزلون التلمود في المرتبة الأولى للتشريع.

لكن الفلاسفة كان لهم رأي آخر في عقيدة "شعب الله المختار"، فالفيلسوف إمانويل كانت (I. Kant 1724 – 1804)، كان رأيه سلبي في الدين اليهودي؛ فلم ير فيه إلا مجرد وهم، أما رأيه العام في اليهود، فيقول فيه، "باعتبارهم الشعب الوحيد المختار أعداء لكل الشعوب الأخرى، فقد أصبحوا بالتالي هدفًا لعداوة كل الشعوب".(٥٥)

«ولم يكن هذا هو حكم كانت، وحده لقد شاركه فيه معظم المفكرين واللاهوتيين في عصره، ومنهم زيملر (J. S. Semler 1725 – 1791) وريماروس-H. S. Reima ros (1694 – 1768)، وهذا الحكم لم يكن وليد النازية كما يزعم اليهود، وإنه لحكم موضوعي على الرغم من قسوته الظاهرة، وإلا لم يردده بعض المستنيرين من مفكري اليهود حتى وقتنا الحاضر مثل الفرنسي "برنار لازار B. Lazare 1890 – 1902 حتى قبل أن يتصهين، فيقول إن اليهود أنفسهم هم سبب ما يتعرضون له من عداء، وتطلع إلى

حل المسالة اليهودية في إطار نظام المستقبل الذي ستذوب فيه جميع الفئات والقوميات في بوتقة إنسانية واحدة".(٥٦)

من عقائد التيار الأصولي اليهودي كذلك:

لا يرون أي حقوق لغيرهم ولا يجوز أن يُقيموا في أرض إسرائيل: وذلك لأنهم إن فعلوا ذلك كانوا كمن يناقض النبوءة القائلة إن أرض الميعاد سوف تلفظ أي شعب أخر يحاول العيش فيها وأنه عند عودة اليهود فحسب تنبت الأرض فروعًا وتثمر، دلالة على بداية العصر المسيحاني. وفي ذلك السياق يقول حانان بورات: «إن ارتباط إسرائيل الوطني بأرض إسرائيل ارتباط فريد لا نظير له بين الأمم – فهو يختلف اختلافًا جذريًا عن الروابط التي تربط الفرنسيين والإنكليز والروس والصينيين كل شعب منهم بأرضه ... فأرض إسرائيل بالنسبة إلينا هي أرض قدرنا، أرض مصطفاه، لا مجرد وطن».(٥٧)

يفسر ذلك المبدأ الأصولي، أسباب إصرار الساسة في إسرائيل إفشال أي محادثات سلام مع الفلسطينيين، وتوسعهم السرطاني في عمليات الاستيطان، وإصدار تشريعات بيهودية إسرائيل، وعدم منح الفلسطينيين أي حقوق لهم، وهنا يبرز مدى تأثير التيار الأصولي اليهودي في الصراع السياسي، وإصرارهم على ابتلاع كامل الأراضي العربية.

من عقائد الأصولية اليهودية:

هناك تضاد جوهري بين اليهود والأمم الأخرى، وهذا التضاد يحتل مركز الصدارة في الفكر الأصولي، فإن أوضاع اليهود الإجتماعيةوالإقتصادية والنفسية، مرتبطة بالنصوص الدينية، ولا سيما نبوءات أنبياء إسرائيل، فلا يسوغ تفسير ما يجري من أمور خارج هذا النطاق، لأن هذا الشعب محل متابعة موصولة من رب العالمين، وهو شعب استثنائي، بقدره المختلف والمُتميز. ثم يكون على اليهود أن ينطلقوا بهذه المعرفة إلى معترك التنفيذ، وهم إن تقيدوا بنبوءات إسرائيل فإنهم سوف يجدون الخطوط العريضة التي من شأنها إنارة سبيلهم في رسم الخطط السياسية الكفيلة بإيصالهم إلى الهدف المنشود.

من عقائد الأصولية اليهودية:

عدم التفريط في أي قطعة من أرض إسرائيل؛ فالتفريط في أي قطعة أرض لا توهن إسرائيل وتعرضها للخطر فحسب، بل تناقض المقتضيات التي قضاها الله على الشعب اليهودي بأن يرث الأرض، وهذا بدوره يؤخر عملية الخلاص، لا خلاص إسرائيل وحدها بل خلاص خلاص العالم بأسره. (58)

يمكن الاستنتاج من الأصل السابق ذكره، أن الأصوليين اليهود، يرون الخلاص حدث عالمي، في عمومه، وإن كان خاص في مضمونه. وهو خاص في مضمونه؛ لأنه سينهي شتات اليهود ويقيم لهم دولتهم على الأرض الموعودة، بعد ظهور المسيا، وهو ما سيترتب عليه أيضًا خلاص البشرية جمعاء.

من عقائد الأصولية اليهودية:

إيمان اليهود بأن الأحداث التاريخية الفارقة هي جزء من عملية الخلاص، يقول إيان لوستك: «الأصوليون اليهود يعتقدون أنهم يمتلكون طريقة خاصة توصلهم مباشرة إلى معرفة الحقيقة المتعالية، ومجرى ما يأتي من الحوادث، وتتيح لهم فهم ما يتطلبه المستقبل، فالتاريخ عند الأصوليين اليهود هو وسيلة اتصال الله بشعبه، والحوادث والاتجاهات السياسية تنطوي على رسائل تمدهم بالتعليمات ... وأن التحليل السياسي والتاريخي يوازي إذا ما أحسن تدبره، تأويل مشيئة الله، ومن شأن هذا التحليل، إذا ما تم ربطه بالنصوص الدينية أن يرشد الصراع المستمر من أجل الخلاص».(٥٩)

الأصوليون يرون أن العالم يسير وفق تدابير إلهية ومشيئة لا يمكن الخروج عنها، وأن أحداث التاريخ إن تم تأويلها وفق ما جاء في التوراة والتلمود، فستكون جزءا من مشيئة الله وقدره المحتوم. هم يرون أن مقتل ملايين اليهود على يد النازيين في الحرب العالمية الثانية، تأديب من الله، بعدما علق كثير من اليهود آمالهم على الغرب الأوروبي، وأن ما حدث كان لإعادة اليهود إلى أرض ميعادهم، وكذلك حروب أعوام ١٩٤٨ – ١٩٦٧– ١٩٧٣، فإن هذه الحروب والأحداث يرونها جزء من العصر المسياني الذي يفتح طريق الخلاص. (٦٠)

من العقائد الأصولية اليهودية أيضًا:

الاعتقاد بوجود مسيحيين، «الأول هو المسيح بن يوسف، الذي سوف يستوطن الأرض، ويحقق الانتصارات ثم يخفق في سعيه للخلاص؛ إذ يهزم في حرب يأجوج ومأجوج، وبين المسيح بن داود الذي سوف يقود من بعده إسرائيل والعالم، وبصورة معجزة إلى الخلاص الكامل».(٦١)

لليهود دور في عملية الخلاص، ويعد ذلك من بين عقائد الأصوليين اليهود، فعلى الرغم من أن الله هو من يلعب دورًا محوريا في تشكيل التاريخ البشري، إلا أنهم ينظرون إلى الشعب اليهودي بوصفه عونًا لله في عملية إصلاح العالم، حتى بلوغ الخلاص، وإقامة المملكة المسيحانية، فتحقيق كلمة الله متوقف عليهم.

وفي هذا الصدد، بررت الكثير من الجماعات اليهودية أفعالها بوصفها تنفيذا لمشيئة الله. يقول إيان لوستك: "إن يهودا غتسيون، الناطق الأيديولوجي الرسمي باسم أبرز قطاع في المنظمات اليهودية السرية، أقر أثناء محاكمته في دوره على الاعتداء على رئيس البلدتين العربيتين، والكلية الإسلامية في الخليل، وفي المؤامرة لتفجير جبل الهيكل، بصحة الاتهامات، وتحدى حق المحكمة في إصدار الأحكام على أفعاله ... وأكد أن دوافعه ودوافع المتآمرين تستند إلى اعتقادهم بأن الله كلفهم تكليفًا شخصيًا بتعجيل عملية الخلاص". (٦٢)

وفي ذلك السياق تقول الباحثة سوزان نيدتيش (1950) Suzanniditch، عن أهمية دراسة الحرب في النصوص الدينية العبرية: "إن العنف الخاص الذي تحمله النصوص العبرية المقدسة ليلهم ويثير العنف الذي اتخذ نموذجًا للاضطهاد والاستعباد والإبادة لآلاف السنين على خلاف الواقع، وهذا وحده يكفي كي يجعل من دراسة أعراف الحرب في تلك النصوص العبرية عملية خطيرة مهمة في العهد القديم ... كأي عمل رئيس من إبداع البشر يعكس من نحن وطبيعتنا كبشر".(٦٣)

إن الحروب في العهد القديم وما فيها من عنف وإبادة كانت مصدر إلهام لكثير من الشعوب والأمم، بمعنى أنها كانت قدوة ونموذجًا يحتذى به. إن رولاند بينتون (Bain-

ton R, 1894 – 1984 وجيمس جنسون (Johnson James 1871 – 1938، «ردوا فكرة الحروب الصليبية إلى أصول اليهودية".(١٤)

فيما يقول بعض الكتاب إن "معظم الأعمال الكلاسيكية حول أخلاقيات العهد القديم بوجه عام، منذ بدايات القرن العشرين، قد أعطت اهتمامًا محدودًا للحرب في العهد القديم، ففي مناقشة موقف العبرانيين من الأجانب، والذي أخذ مساحة كبيرة في مناقشات بعض الباحثين مثل جي سميث (J. Smith (1834 – 1916 وجون هينكلي John Hinckley، لم تجد فقرات سفر التثنية (٢٠/ ١٠–١٤) إلا بسطور قليلة منهما، في الوقت الذي كانت تستحق هذه السطور إسهابًا وشرحًا، كما كما لم يكلفا نفسيهما عناء الخوض في الأبعاد العويصة لكلمة "حيرم" (أي الإبادة) ضد الكنعانيين، وحاول تبرير ذلك بوثنية الكنعانيين الحسية الشنيعة وضرورة عملية جراحة أخلاقية لاستئصالها".(١٥)

إذن العدوانية التي يظهرها الأصوليون اليهود، ضد الفلسطينيين، ربما يكون تبريرها الديني موجودًا في العهد القديم، الذي تحدث باستفاضة عن إبادة العدو، إلى الدرجة التي دفعت بعض المفكرين إلى اعتبار أن تلك الروايات غير حقيقية، وإنما تم صياغتها من وجهة نظر كتاب الأسفار الخمسة. "مثل هذه المجموعة من مشاكل تفسير وقراءة النصوص العبرية، تجعل من العسير أن نؤكد ما هو حقيقي من المعلومات التاريخية في التوراة العبرية".(١٦)

وبغض النظر عن مدى صحة تلك النصوص من عدمها، فهو أمر داخلي يخص أصحاب تلك الديانة، لكن وجودها بشكل عام في كتاب مقدس يجعلها حجة، يستعملها الأصوليون في عنفهم ضد الآخر. "إن الاستخدام الأكثر شيوعًا لمصطلح حيرم في العهد القديم يعني الإحراق والتدمير والقتل والتخريب والإماتة والإبادة التامة والاستئصال".(١٧)

«وفي استقراء النصوص العبرية التي تتعلق بـ"الحيرم" يمكننا أن نقف على معنيين لهذا المصطلح، أولهما يرتبط بالحروب ويعني إبادة تامة لكل الكائنات التي تتم هزيمتها في الحرب، وهو ما تعكسه النصوص الآتية: "وَلَمَّا سَمِعَ الْكَنْعَانِيُّ مَلِكُ عَرَادَ السَّاكِنُ فِي الْجَنُوبِ أَنَّ إِسْرَائِيلَ جَاءَ فِي طَرِيقِ أَتَارِيمَ، حَارَبَ إِسْرَائِيلَ وَسَبَى مِنْهُمْ سَبْيًا. فَنَذَرَ

إِسْرَائِيلُ نَذْرًا لِلرَّبِّ وَقَالَ: "إِنْ دَفَعْتَ هؤُلاَءِ الْقَوْمَ إِلَى يَدِي أُحَرِّمُ مُدُنَهُمْ". فَسَمِعَ الرَّبُّ لِقَوْلِ إِسْرَائِيلَ، وَدَفَعَ الْكَنْعَانِيِّينَ، فَحَرَّمُوهُمْ وَمُدُنَهُمْ. فَدُعِيَ اسْمُ الْمَكَانِ حُرْمَةَ" (العدد ٢١/ ١-٣).

أما المعنى الثاني للحيرم، فنجده في غير نصوص الحرب ويعني التخصيص للرب، ففي سفر اللاويين ٢٧/ ٢٨ نجد ما يلي:

«أَمَّا كُلُّ مُحَرَّمٍ يُحَرِّمُهُ إِنْسَانٌ لِلرَّبِّ مِنْ كُلِّ مَا لَهُ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ وَمِنْ حُقُولِ مُلْكِهِ فَلاَ يُبَاعُ وَلاَ يُفَكُّ. إِنَّ كُلَّ مُحَرَّمٍ هُوَ قُدْسُ أَقْدَاسٍ لِلرَّبِّ." (لا ٢٧: ٢٨).

فكلمة حيرم في مثل هذا النص لا علاقة لها بالحرب، ولا تشير على الإطلاق إلى أشياء مدمرة، ولكنها تعني ملكية تخصص يضحي بها الرب، لاستخدامه أو لاستخدام كهنته، وهو ما نص عليه أمر الرب فيما يتعلق بمهام كهنته في سفر حزقيال ٤٤/ ٢٩ "وكل محرم في إسرائيل يكون لهم".

أما ما يدخل في نطاق الحيرم بمعنييه، الإبادة الشاملة (الهولوكوست)، أو الوقف، فقد أشار سفر صموئيل الأول ١٥/ ٣ إلى مشتملات الإبادة على النحو التالي: "فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ، وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلًا وَامْرَأَةً، طِفْلًا وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلًا وَحِمَارًا". (١ صم ١٥: ٣).

كما يوضح سفر شوع ٦/ ٢١ كل ما تمت إبادته (تحريمه) في مدينة أريحا بما يلي: "وَحَرَّمُوا كُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ رَجُل وَامْرَأَةٍ، مِنْ طِفْل وَشَيْخٍ، حَتَّى الْبَقَرَ وَالْغَنَمَ وَالْحَمِيرَ بِحَدِّ السَّيْفِ." (يش ٦: ٢١). وقد أشار سفر اللاويين على مشتملات الوقف والتخصيص للرب في الإصحاح السابع والعشرين في الفقرة الثامنة والعشرين. لكن الرب قد يفدي هذه المشتملات المخصصة له مثل أبكار البشر، الأمر الذي يبدو جليًا في ذلك النص الكهنوتي الوارد في سفر (العدد ١٨/ ١٤-١٧). (كل محرم في اسرائيل يكون لك. ١٥ كل فاتح رحم من كل جسد يقدمونه للرب من الناس ومن البهائم يكون لك غير إنك تقبل فداء بكر الإنسان وبكر البهيمة النجسة تقبل فداءه ... ١٧ لكن بكر البقر أو بكر الضأن أو بكر المعز لا تقبل فداءه. إنه قدس. بل ترش دمه على المذبح وتوقد شحمه وقودا رائحة سرور للرب)". (٦٨)

وتقديم القرابين من الطقوس الرئيسية في عبادة اليهود، "لقد كانوا يقدمونها تعبيرًا عن اعترافهم بخطاياهم، أو لتكفيرهم عنها، أو لتوبتهم عن ارتكابها أو لشكرهم لله، أو لتكريس أنفسهم لخدمته، أو لغير ذلك من الأسباب والأغراض". (٦٩) أما عن نوعية القرابين التي كانت تقدم، فهي "المحروقات والذبائح والرقائع والعشور والنذور". (٧٠) فيما ذهب بعض الكتاب إلى اعتبار أن ذبح البشر أو حرقهم كان من أشكال القرابين المقدمة إلى الرب، "إن القربان البشري موضوع متكرر في اليهودية".(٧١)

«وكانت التضحية بالابن Child Sacrifice جزءًا من الديانة الإسرائيلية القديمة".(72) "والقرابين البشرية كانت معروفة وممارسة بين تلك الشعوب التي احتك به الإسرائيليون بشكل او بآخر ... فبعض الاكتشافات التي تعد من الآثار الباقية لعادة التضحية بالإنسان، والتي لعبت دورًا بارزًا في الديانة الكنعانية، وقد تبين ذلك من خلال دراسة الهياكل البشرية التي تم اكتشافها في فلسطين، والتي ترجع إلى ما قبل الغزو العبري لها ... والكنعانيون قد مارسوا هذه العادة حتى عصور قريبة ... وكانوا يضحون في حالات الكوارث بأعز أبنائهم لدرء تلك المخاطر عنهم ... وكان العمونيون يقدمون أبناءهم ذبائح للإله ملكوم ... كما عرف الموابيون تلك العادة على نحو ما أخبرنا سفر الملوك الثاني ... والمصريون القدماء قدموا ضحاياهم وقرابينهم البشرية إلى آلهتهم".(٧٣)

أما المعني الثاني للحيرم فهو إلى جانب وروده في النصوص المقدسة على أنه قربان للرب، هناك أيديولوجية أخرى للحيرم تتمثل في كونها عقاب إلهي وعدالة ربانية، "في سفر التثنية ومؤيدي إصلاحات يوشيا يعتبرون الحيرم وسيلة لاقتلاع الرجس والخطيئة، وتحقيق علاقة نقية طاهرة بين إسرائيل والرب. والشكل الغالب على النصوص العبرية هو التعامل مع الحيرم لا لا كقربان للرب مقابل النصر، وإنما كعقاب عادل ومستحق للوثنيين والخطائين، وهؤلاء الذين يقودون إسرائيل إلى الضلالة، أو يرتكبون ظلمًا مباشرًا ضد إسرائيل. وبذلك يكون الحيرم كعقاب إلهي عادل يدفع للحرب ويشجع عليها؛ وذلك بهدف تطهير الجماعة لنفسها ولنزع الشر فيما وراء الجماعة ذاتها، ولتطبيق الحكم الإلهي".(٧٤)

إذن ينتج عن ذلك، جدلية الأنا والآخر المخالف، أو الطيب والشرير، أو الطاهر والنجس، وبالتالي الذين يستحقون الخلاص، وأولئك المستحقين للإبادة، وبتنفيذ عملية الإبادة تستحق الجماعة المؤمنة إذًا الفوز بالعون الإلهي. وتكمن هنا أيضًا مدى خطورة المصطلح؛ لكونه يعطي جماعة من الناس الحق المطلق في الخلاص من الآخر بقتله وإبادته، وبالتالي تنتج أسئلة من نوعية ما هي حدود الشر والأحكام الضابطة له، هنا نقع فريسة للفهم الأحادي أو المغلوط الذي يقدمه رجال الدين، كما يحدث في أي ديانة أخرى.

ومفهوم الحيرم كعقاب إلهي متمثل في إبادة المُضلين أو المخالفين، يشبه مفهوم الجهاد عند بعض المسلمين. مفهوم الجهاد بوصفه وسيلة لنشر الدين وتطهير الأرض من جاهليتها وكفرها. ومفهوم الحيرم بوصفه عقاب ليس مقصورًا على الأمم الوثنية الأخرى، بل إنه يطبق كذلك على بني إسرائيل عند انحرافهم، وهو يشبه عبادة التطبير عند طائفة الشيعة حزنًا على مقتل الإمام الحسين بن علي، وكذلك تشبه بعض الطقوس عند المسيحية الكاثوليكية وتحديدًا في الفلبين، ففي أسبوع الآلام يبدأ هؤلاء المسيحيون بمعاقبة أنفسهم على موت السيد المسيح، كما يفعل الشيعة عقابًا لأنفسهم على موت الإمام الحسين.

نتائج الفصل:

– الديانة اليهودية مُتشددة في تطبيق طقوسها؛ إذ تُلزم مُعتنقيها بالتنفيذ الحرفي لمبادئها؛ كي تتحقق لهم الخيرية بوصفهم شعب الله المختار.

– الأصولية اليهودية تستهدف خلاص بني إسرائيل، وإقامة هيكلهم المقدس على أرض إسرائيل.

– ارتبطت فكرة الأرض بتجميع شعب إسرائيل، وإقامة وطن لهم، في أرض الآباء، وبات تحقيق هذا الحلم هو هدفهم.

– مع ظهور الصهيونية وانتشارها، بدا الاختلاف واضحًا بين الأصولية كحركة دينية ترى أن خلاص اليهود يأتي بمعجزة إلهية؛ وهي ظهور المسيا الذي يقود شعبه إلى

الأرض المقدسة، وبين الحركة الصهيونية العلمانية التي تسعى لإقامة دولة لليهود في فلسطين، عبر تشجيع عملية الاستيطان.

– الحاخام أبراهام بتسحاق كوك (1865 – 1935) Abraham Isaac Kook حل الإشكال بين الصهيونية والأصولية، إذ اعتبر أن مسعى الصهيونية لإقامة دولة لليهود في فلسطين له بُعدَ روحيّ وأن عمليات الاستيطان هي من أشكال الخلاص لليهود، وأن الصهيونيين يقومون بعملية خلاص دون أن يدروا.

– ما قام به الحاخام أبرهام من توفيق بين الأصولية والصهيونية، هو تدشين لمرحلة تزاوج فيها الدين بالسياسة واستخدم كل منهما الآخر في تحقيق مكاسب على الأرض، فالصهيونية في المقام الأول تسعى لتحقيق القومية اليهودية، وهذه القومية لن تتم إلا بقيام دولة على الأرض، وبإقامة هذه الدولة، قال الحاخام أبرهام إنه يجب على اليهود إدراك البعد المسياني في أهداف الصهيونية، الرامية إلى إقامة دولة.

– وفق الحاخام أبراهام فإن الصهيونية كحركة قومية هيأت الأوضاع لعودة المسيحانية.

– المسيحانية، تشير إلى الحركات التي تؤمن بالفكر اليوتوبي القائم على تقديم الخلاص، وهي تزدهر في فترات المعاناة والإحباط، عندما يكون الحاضر غير مرضٍ ويِلزم استبداله أو تغييره، وهذا الإيمان قائم في أوساط اليهود منذ عصور قديمة جداً، ويقوى في فترات الشدة والاضطرابات التي يتعرض لها اليهود في عدة بلدان من العالم.

– بعد تحالف الأصولية مع الصهيونية، لم تعد متمسكة بالطريقة التي يتحقق بها الخلاص، سواء بالإنابة الروحية إلى الله، ولزوم فرائضه، أو عبر النشاط السياسي والعسكري، ويعد هذا أحد تأثيرات الصهيونية العلمانية على الفكر الأصولي اليهودي.

– الأصولية اليهودية عنيفة؛ وربما السبب في ذلك هو الطبيعة اليهود كأمة عاشت في الشتات فترات طويلة، وطمحت طوال الوقت في إقامة دولة لهم على الأرض التي يعتبرونها أرض الأباء والأجداد، أرض إسرائيل.

– مبدأ انتظار المعجزة الربانية المتمثلة في قدوم المسيح، استحدثها الحاخام يوحانان بن – زكاي، وكان هدفه من ذلك الحفاظ على البقية الباقية من اليهود؛ بعدما

هلك الكثير منهم بفعل الثورات اليهودية، لكن تلك الأفكار ظلت عالقة في أذهان بعض الجماعات اليهودية، وتتمسك بها حتى هذه اللحظة، وهي أنه لا يجوز تعجيل الخلاص، وألا يحسب نهاية الزمن، أو أن ينظم العودة الجماعية إلى أرض إسرائيل بالقوة.

– هدف التيار الأصولي اليهودي، تقديم الخلاص لشعب الله المختار، متمثلًا في إقامة الهيكل وتفعيل الشعائر.

– الاختلاف بين المنتمين للتيار الأصولي اليهودي يظهر في طريقة تحقيق ذلك الهدف، فهناك الجناح المتمسك بالتنفيذ الحرفي لتعاليم الكتاب المقدس والشريعة اليهودية، كما هو الحال في الحريديم، وهناك الجناح المتحالف مع الصهيونية ويطلق عليه (الأصولية الصهيونية)، وهو الساعي إلى تجميع اليهود في الأرض الموعودة، تمهيدًا لقدوم المسيا، وتحقيق الخلاص.

قائمة المراجع

* اليشوف Yishuv: كلمة عربية معناها الاستيطان. وتطلق في الكتابات الصهيونية على التجمع الاستيطاني اليهودي في فلسطين قبل قيام الكيان الصهيوني.

(١) لوستك،س.إيان: الأصولية اليهودية في إسرائيل من أجل الأرض والرب، ترجمة: حسني زينه، الناشر مؤسسة الدراسات الفلسطينية، طـ١، ١٩٩١، بيروت، ص ٢٧ بتصرف.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٨ بتصرف.

(3) V. Ferm, the Encye of Philosoythy, art. (Midrash).

(4) G Santayans Reason in Religion, Dover Publication, pag 81-82.

(5) S. Agnes, the Mystery of Religion, Dover Pub. 1928, pag 25.

(٦) بلدي، نجيب: تمهيد لتاريخ مدرسة الإسكندرية وفلسفتها، دار المعارف، ١٩١٢٢٢٢، ص ٨٨ – ٩٠.

(٧) مطر، أميرة حلمي: الفلسفة عند اليونان، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٧، ص ١٨ – ٢٠.

(٨) بشارة، عزمي: "مائة عام من الصهيونية، من جدلية الوجود إلى جدلية الجوهر"، مجلة كرمل، العدد ٥٣، ١٩٩٧.

(٩) لوستك،س.إيان: الأصولية اليهودية في إسرائيل من أجل الأرض والرب، مرجع السابق، ص ٢٩.

(١٠) المرجع السابق، ص٢٧ بتصرف.

(11) Jones, Lindsay: Encyclopedia of Religion, Vol 9, Thomson, Star Logo and Macmillan Reference, USA, Second Edition, Pag 5972.

* ثورة باركوخبا: تمرد قام به يهود ولاية يهودا الرومانية، بقيادة شمعون باركوخباSimon bar Kokhba (القرن الأول ق.م – 135 ق.م) بعدما ادعى أنه المسيح، ضد الإمبراطورية الرومانية، واندلعت تلك الثورة نحو عام 132 ق.م. وتعرف باسم الحرب اليهودية الرومانية الثالثة أو الثورة اليهودية الثالثة، وانتهت بتدمير الهيكل وقتل آلاف اليهود.

(12) Ibid, Pag 5974 – 5975.

(١٣) باكان، دافيد: فرويد والتراث الصرفي، ترجمة: طلال عتريسي، الناشر: المؤسسة الجامعية، بيروت، ١٩٨٨، ص٨٨.

(١٤) المرجع السابق، ص ٩٥.

(١٥) صايغ،أنيس (مشرف على التحرير): الفكرة الصهيونية (النصوص الأساسية)، ترجمة: لطفي العابد وموسى عنز، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث بيروت، ١٩٧٠، ص٤٢.

(١٦) برجسون، هنري: منبعا الأخلاق والدين، ترجمة سامي الدروبي وعبد الله عبد الدايم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١، ص ٢٥٦.

(١٧) طلب، حسن: اتجاهات الفلسفة اليهودية الحديثة من موسى مندلسون إلى مارتن بوبر، مجلة إبداع، عدد نوفمبر، ١٩٩٤، ص ٣٠.

(١٨) المرجع السابق، ص ٣٠.

(19) Jones, Lindsay: Encyclopedia of Religion,Ibid, Pag 5975.

(20) Ibid, Pag 5979.

(٢١) لوستكس.إيان: الأصولية اليهودية في إسرائيل من أجل الأرض والرب، مرجع سابق، ص٢٨.

(٢٢) المرجع السابق، ص ٢٩ – ٣٠.

(23) Green, Ronald: Religious Reason, Oxford University Press, 1978, Pag 158.

(٢٤) لوستكس.إيان: الأصولية اليهودية في إسرائيل، مرجع سابق، ص ٣١ بتصرف.

(٢٥) المرجع السابق، ص ٣٢.

(٢٦) المرجع السابق، ص ٣٢ – ٣٣ بتصرف.

(٢٧) المرجع السابق، ص ٣٤.

(٢٨) هيمان، إيمانويل: الأصولية اليهودية (فرنسا – إسرائيل – الولايات المتحدة)، ترجمة: سعد الطويل، مراجعة: جمال أحمد رفاعي، الناشر: الهيئة العامة للكتاب، ط٢، ٢٠١٢م، ص ١٨٣.

(٢٩) المرجع السابق، ١٨٧ – ١٨٨.

(٣٠) لوستكس.إيان: الأصولية اليهودية في إسرائيل، مرجع سابق، ص ٣٤.

(٣١) لم نتمكن من التعرف على صاحب هذا الميدراش ولا على عصره، لكنه ورد في "مدراش المزامير" (٣١ب) الذي جُمع وحُرر بين القرنين الثامن والعاشر للميلاد.

(٣٢) رؤيا عزرا (ستة فصول)، (المعروف باسم عزرا الرابع)، يعود للقرن الأول الميلادي، الفصل الثاني، الفقرتان ٣٦ – ٣٧.

(٣٣) بشير، نبيه: الخلاص اليهودي في التراث اليهودي المقدس، مجلة قضايا إنسانية، العدد ٦٣، ص ٢٨.

(٣٤) لوستكس.إيان: الأصولية اليهودية في إسرائيل، مرجع سابق، ص ٣٧.

*الحاخام إبراهام بتسحاق كوك، هو حاخام عينه البريطانيون رئيسًا لحاخامات فلسطين الأشكناز. وقد أدى هذه الوظيفة حتى وفاته سنة ١٩٣٥. وكانت أسطورة قداسته الشخصية وقوة أفكاره وأصالتها أدت بعد أكثر من ثلاثين عامًا من وفاته إلى تكوين الأساس النظري والأيديولوجي لنشأة الأصولية اليهودية المعاصرة. لوستيك إيان: مرجع سابق ص ٣٨.

(٣٥) لوستكس.إيان: الأصولية اليهودية في إسرائيل، مرجع السابق، ص ٣٩.

(٣٦) المرجع السابق، ص ٤٠.

(٣٧) لوستيكس.إيان: الأصولية اليهودية في إسرائيل، مرجع السابق، ص ٤٣.

(٣٨) شاحاك، إسرائيل، متسفينسكي، نورتون: الأصولية اليهودية في إسرائيل، ترجمة: ناصر عفيفي، الناشر: مؤسسة روز اليوسف، ٢٠٠٣، ص ٣٤.

(٣٩) المرجع السابق، ص ٣٥.

(٤٠) لوستك، إيان: الأصولية اليهودية في إسرائيل، مرجع سابق، ص ٨٨ بتصرف.

(٤١) المسيري، محمد عبدالوهاب: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (نموذج تفسيري جديد)، المجلد الثاني، الجماعات اليهودية إشكاليات، دار الشروق للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، طـ١، ١٩٩٩، ص٩٥.

(٤٢) المرجع السابق، ص٩٨.

(٤٣) المرجع السابق، ص ١٠٠ بتصرف.

(٤٤) بوبر، مارتن: تجربة لم تفشل، مقال بمجلة (أريئيل). عدد يونية، ١٩٨١، أورشليم، ص١٩، نقلًا من بحث (اتجاهات الفلسفة اليهودية الحديثة من موسى مندلسون إلى مارتن بوبر للدكتور حسن طلب)، ص ٣٦.

(٤٥) E. Young-Bruehl, From the Pariah›s Point of view, in Hanna Arendt, ed. by: M. A. Hill, St. Martin›s Press, N. Y. ١٩٧٩. pag ٣.

(٤٦) طلب، حسن: الفيلسوفة اليهودية حنا أرنت تواجه هتلر وهرتزل، مجلة إبداع، العدد ٤، ١ أبريل ١٩٩٥، ص، ٦٣.

(٤٧) المرجع السابق، ص ٦٥.

(٤٨) أرنت، حنا: أسس التوتاليتارية، ترجمة: أنطوان أبو زيد، الناشر، دار الساقي، بيروت – لبنان، طـ ٢، ٢٠١٦، ص ٢٢٠.

(٤٩) إدريس، محمد جلاء: فلسفة الحرب في الفكر الديني الإسرائيلي، مرجع سابق، ص ١٢٩ – ١٣٠.

(٥٠) لوستك، إيان: الأصولية اليهودية في إسرائيل، مرجع سابق، ص ٨٩ بتصرف

(٥١) المسيري، محمد عبدالوهاب: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، ص٩٦.

(٥٢) شاحاك، إسرائيل، متسفينسكينورتون: الأصولية اليهودية في إسرائيل، مرجع سابق، ص ٣١.

(53) LINDSAY JONES: ENCYCLOPEDIA OF RELIGION, Ibid, Pag 8969, 8970.

(54) Ibid, Pag 8970.

(٥٥) بدري، عبدالرحمن: فلسفة الدين والتربية عند كانت، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠، ص ٧٣.

(٥٦) بدري، عبد الرحمن: المثالية الألمانية (شلنج)، الناشر: دار النهضة العربية، ١٩٩٠، ص٣٣٧ بتصرف.

(٥٧) لوستك، إيان: الأصولية اليهودية، مرجع سابق، ص ٩٧.

(٥٨) لوستك، إيان: مرجع سابق، ص ٩٥ بتصرف.

(٥٩) المرجع السابق، ص٩٩.

(٦٠) المرجع السابق، ص ٩٩ – ١٠٠ بتصرف.

(٦١) المرجع السابق، ص ١٠٥.

(٦٢) المرجع السابق، ص١١٢.

(63) Niditchsuzan: War in Hebrew Bible: A study in he Ethics of Violence, Oxford University Press, New York, Oxford, 1993, Pag 4.

(64) Bainton, R: Christian Attitude Towards War and Peace, Nashuille Abingdon, 1960, Pag 44. Johnson James Weldon: Ideology Reason and the Limitation Of War, Princeton, NJ Princeton University, 1975, Pag 125 – 131.

(٦٥) إدريس، محمد جلاء: فلسفة الحرب في الفكر الديني الإسرائيلي، الناشر: المؤسسة المصرية للتسويق والتوزيع (إمدكو للطباعة والنشر)، طـ١، ٢٠١٢، ص ١١١ – ١١٢.

(66) Bruse, W. S: The Ethics Of Old Testament, Edinburgh, 1909, Pag 37.

(٦٧) كنعاني، يعقوب: معجم اللغة العبرية، تل أبيب، المجلد ٥، ١٩٦٤.

(٦٨) إدريس، محمد جلاء: فلسفة الحرب في الفكر الديني الإسرائيلي، مرجع سابق، ص ١١٤ – ١١٥ – ١١٦.

(٦٩) شنودة، زكي: المجتمع اليهودي، الناشر: مكتبة الخانجي، ص ١٨٥.

(٧٠) المرجع السابق، ص ١٨٦ – ٢٠٠.

(71) Niditchsuzan: War in Hebrew Bible: A study in he Ethics of Violence, Ibed, Pag 47.

(72) Green, Alberto RavinellWhitncy: The Role Human Sacrifice In the Ancient Near East, ASDR Diss. Ser. I . Missoula. MT. Scholares, 1975, Pag 179.

(٧٣) إدريس، محمد جلاء: فلسفة الحرب في الفكر الديني الإسرائيلي، مرجع سابق، ص ١١٩.

(٧٤) المرجع السابق، ص ١٢٧ – ١٢٨.